جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة

استخدام العلوم التجريبية

في خدمة الدعوة الإسلامية

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير

إعداد

الطالب / عبد الشافي مسلم فيّاض

إشراف

الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوي

١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم الذى أكمل الدين ، وأتم النعمة ، ورضى لنا الاسلام دينا ، وأصلى وأسلم على خاتم النبيين محمد الذى اصطفاه لتبليغ رسالته ، وتأدية الأمانة ، فقام بذلك خير قيام ، فجزاه الله عنا خير الجزاء ، وندعوا الله له الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة من الجنة ان الله سميع مجيب .

الدعوة الاسلامية دعوة عالمية عامة لجميع المكلفين من الانس والجن وشاملة لكافة الأنشطة البشرية ، والمطالب الجسدية والنفسية للانسان الذى يجمع كثير من الصفات ، فيجمع لكثير من صفات الخالق سبحانه ، ولكن بشكل ناقص وغير تام ، ويجمع كذلك من صفات الملائكة والحيوانات والشياطين ، ولا أبالغ اذ أضفى عليه صفات جميع المخلوقات ، وقد فضله الله على كثير من مخلوقاته ، وأسبغ عليه من النعم مالا يحصيها الا الله تعالى ليحقق الاستخلاف فى الأرض ، ولكنه ظلوم كفار .

والعلوم التجريبية احدى الخصائص التى تميز بها الانسان عن بقية المخلوقات ، وقد قطع فيها شوطا كبيرا ، وتقدم تقدما عظيما ، فابتكر السيارة والقطار والطائرة وسفينة الفضاء ، وامتدت حواسه الى الأفلاك والمجرات والجزئيات .

ولقد افتتن الانسان المعاصر بهذا التقدم المذهل فى كل ميادين الحياة المادية ، فبالغ بعضهم فى الثقة بعلومها المختلفة ، لدرجة أنهم جحدوا بما لا يؤيده الحس والتجربة ، وحكموا بعدم وجوده ، وأنكروا الغيب وتمردوا على الدين والديان ، بالرغم من أن هذا الدين منة من الله تعالى ، ليكمل النقص البشرى ، ويهدى الانسان لما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

ومن أجل ذلك صرف الله الآيات ، واقسم بالمخلوقات ، ليستدل الانسان ويعتبر ، ويطلب الهدى والحق ، "ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"(١).

سبب اختيار الموضوع :

لقد وقع اختيارى على هذا الموضوع لعدة أسباب منها :

أ ـ أهمية العلوم التجريبية فى حياة الانسان المعاصر ، وما يعانيه المسلمون من تخلف فى هذا المجال مع أن الله يحثهم على استعمار الكون ، والتدبر والتفكر فى آيات الله الكونية .

ب ـ الثقة الزائدة التى يوليها الناس للعلم ، والتى امتدت الى الثقة فى الأشخاص الذين يدعون العلمية ، والعلم منهم براء ، مع أن العلم يعتمد كثيرا جدا على نظريات وفروض ، لم تصل الى الحقيقة العلمية .

ج ـ الرد على موجة الالحاد والتى تدعى أنها قائمة على العلم .

د ـ الرد على من زعم أن الاسلام يحارب العلم ، ولا أبالغ اذا قلت ان العلم والاسلام كوجهان لعملة واحدة ، والرد على من يدعى أن الغرب له قصب السبق فى مجال هذه العلوم .

والدعوة الاسلامية تدعو الى الدين الفطرى ، وترغب الناس فى اعتناقه بالدليل والبرهان ، وهى دعوة للتدبر فى كتاب الله المقروء ، والبحث فى كتاب الله المفتوح من ظواهر طبيعية ، وسنن كونية .

ومنهجى فى هذا البحث مستمد من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مبطلا ما يدعيه المبطلون رادا عليهم ، واقتضى ذلك منى أن أقسمه الى : مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة كما يلى :

ـ المقدمة .

ـ التمهيد : وتعرضت فيه الى مفهوم الدعوة الاسلامية ومفهوم العلوم التجريبية .

(١) سورة ق ـ آية : ٣٧ .

الفصل الأول : مكانة العلوم التجريبية وضوابطها فى الاسلام ٠

المبحث الأول : مكانة العلوم التجريبية فى الاسلام ٠

المبحث الثانى : الضوابط الاسلامية للعلوم التجريبية ٠

الفصل الثانى : الاعجاز العلمى فى القرآن وأثر ذلك فى الايمان بالغيب ونقد موقف العلمانيين ٠

المبحث الأول : نماذج من الاعجاز العلمى فى القرآن

المبحث الثانى : أثر العلم التجريبى فى البرهنة على الغيب ٠

المبحث الثالث : الرد على موجه الالحاد والعلمانية ٠

وهذه محاولة متواضعة منى ، ولا أدعى قصب السبق فيها ، وانما أنا من البشر الضعاف ، ولا أقول انى وصلت الى الهدف المنشود ، والذى أرضى به عن نفسى ، وانما هى مجرد محاولة ليس الا ، فان أخطأت فمن نفسى ، ومما أتمتع به من قصور ، وان أصبت فمن الله ، وأرجوا الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ويجعله فى ميزان حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم

وما واجهنى فيه من صعوبات أحسبها كما يلى :

أ ـ كثرة عدد المراجع والمصادر ، لان الموضوع يشتمل علوم البشر والدين٠

ب ـ عموم الموضوع وشموله ، وضيق الوقت والمبحث ، بحيث يستطيع أى باحث أن يكتب فيه الكثير ، ولا يستطيع أن يوفيه حقه من البحث والدراسة والنقد والتمحيص ٠

والذى كنت راغبا فى الوصول اليه ، أن أعطى الموضوع حقه ، ولو فى فرع من فروع تلك العلوم ، التى تمتلىء بها المكتبات ، وموقف آخر ألا وهو أن نجعل كل هذه العلوم اسلامية ، أليست هى التى تبحث فى الظواهر

الطبيعية التى اسلمت لربها طوعا وتسبح بحمده ولكن لا نفقه ذلك التسبيح ؟ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين"(١). وقوله جل ذكره "وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها(٢) .

ولا يفوتنى فى هذا الصدد أن أقدم شكرى وتقديرى لفضيلة الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوى الذى أشرف على كتابة هذا البحث لما قدّمه الىّ من توجيهات وتوصيات وتصويبات فجزاه الله عنى خير الجزاء ، وجعل هذه المجهودات فى ميزان حسناته .

يقول الشاعر

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وأشكر كذلك كل من مد لى يد العون فى هذا البحث ، وعلى رأس أولئك أساتذتى واخوانى فى الجامعة ، وأشكر جامعة الامام التى أتاحت لى الفرصة وعميدها فضيلة الدكتور / سعود البشر ، ووكيلها الدكتور/صالح الحسن .

ولا يفوتنى أن أشكر المسئولين فى الشركة السعودية للكهرباء بالمنطقة الوسطى على ما أتاحوه لى من فرصة الانضمام الى الجامعة ، وتقديم التسهيلات لى ، وفى مقدمتهم مدير عام الشركة ، والمسئولين فى الادارة المالية الأخ / مسعد الحربى ، والأخ / محمد صالح باسلم .

وفى الختام أسأل الله القبول ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أصحابه وزوجاته وذريته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

عبد الشافى مسلم فياض

---

(١) سورة فصلت : آية ١١

(٢) سورة آل عمران : آية ٨٣

تمهيـــــد

أ ـ مفهوم الدعوة الاسلامية :

الدعوة الاسلامية : وهى موءلفة من مقطعين أو كلمتين : الدعوة ، والاسلام. وكلمة دعا : وردت فى القرآن الكريم بصيغة الماضى ، كدعا ، ووردت بصيغة المضارع : كأدعو ، ويدعون ، ووردت بصيغة الأمر : كادع ، وأيضا بصيغة المصدر : كدعوة .

وأسندت الى ضمير المتكلم والمخاطب والغائب : كأدعو ، وتدعو ،ويدعو .

والدعوة فى اللغة : الحلف وتطلق على المرة الواحدة من الدعاء ،يقال: لبنى فلان الدعوة على قومهم ، أى يبدأ بهم فى الدعاء ، وما دعوت اليه من طعام وشراب ، وفى العرس دعوة أى فى ضيافته وطعامه ، ويقال هو منى دعوة الرجل بالنصب على الظرفية ، أى قدر ما بينى وبينه .

وقوله تعالى :" له دعوة الحق"، قال الزجاج : جاء فى التفسير أنها شهادة أن لا اله الا الله .

وهى من الفعل دعا يدعو أى طلب ونادى ، ويتعدى الفعل بنفسه أو بحرف الجر "ب" أو "بالى" أو "باللام" أو "بعلى" فنقول دعا الرجل أى طلبه وناداه ، ودعا به أى طلب احضاره ،ودعا اليه: أى طلب اليه ، ودعا له وعليه : دعوت الله له بخير وعليه بشر ، كالذى نشد ضالته فى المسجد فقال له عليه الصلاة والسلام لا وجدت(١) .

والاسلام كما هو معروف : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

---

(١) معجم لسان العرب .

وهو الدين الذى ارتضاه الله للناس ، وللجن ، والاسلام دين الأولين والآخرين ، وآخر رسل الله الداعى الى الاسلام هو محمد بن عبد الله من قريش من ولد اسماعيل ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، به أكمل الله الدين وأتم النعمة ، قال تعالى : "... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ..."(١)

فالدعوة الى الاسلام دعوة الى دين الله ، وقد بلغها محمد على أكمل وجه ، وما قبض الا من بعد ما بلغ رسالة ربه ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وترك هذه الأمة على المحجة البيضاء النقية ، لا يزيغ عنها الا هالك والعياذ بالله . يقول تعالى : "اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا"(٢). قال ابن عباس : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له(٣).

وهى وظيفة رسل الله الى الثقلين لاخراجهم من ظلمات الكفر والشرك بالله الى نور العبادة والطاعة والاستقامة على صراط الله ، يقول تعالى : "من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"(٤)

ولقد ابتلى الله عباده لينظر ما يفعلون ؟ ابتلاهم بالخير والشر، والغنى والفقر ، بالمعصية والصبر ، بالخوف والرجاء ، فمنهم من صدق عليه ابليس ظنه ، ومنهم من احتسب وصبر . وأعظم الخلق ابتلاءا هم

---

(١) سورة المائدة : آية ٣ .
(٢) سورة النصر .
(٣) تفسير ابن كثير لسورة النصر ص ٥٦١ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان .
(٤) سورة الاسراء : آية ١٥ .

الأنبياء والرسل ، فابتلى آدم بابليس ، وابتلى نوح بطول دعوته وفقده ابنه ، وابتلى ابراهيم فى نفسه وولده وزوجه ، وابتلى سليمان بالغنى، وأيوب بالصبر ، وموسى بالخوف ، وابتلى يونس بالرجاء .... الخ وابتلى محمد صلى الله عليه وسلم بجميع أصناف الابتلاء فصبر وشكر وقال : " ان لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى" . فأعظم الناس ايمانا أكثرهم ابتلاءا ، والمؤمن أمره كله خير ان أصابته نعماء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

ولقد أقام الله الحجة على المكلفين من عباده بارسال الرسل اليهم ليبلغوهم ما أرسلوا به ، ويبينوا لهم ما خفى عليهم من الدين الحق بالبرهان العقلى والحس والاعتبار من الأمم السالفة ، ليحيا من حي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ، وما ربك بظلام للعبيد . قال تعالى "قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى"(١). ويقول تعالى : "ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم..."(٢) .

فالدعوة الاسلامية هى اعلام أو ابلاغ دين الله "الاسلام" بالحكمة والاسوة والموعظة الحسنة، فالدعوة شئ ، والدين شئ آخر ، ولشدة ارتباط الدعوة بالدين نرى أن هناك خلطا بين الدعوة والدين فيقول بعض العلماء:

---

(١) صورة طه : الآيات ١٢٣ حتى ١٢٨

(٢) سورة النساء : آية ١٤٧ .

"الدعوة الاسلامية هى دين الله الذى بعث به الأنبياء جميعا تجدد على يد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة"(١) . فقد تكون الدعوة متعددة الأساليب والطرق والأشخاص ، فتختلف من شخص الى آخر ، ومن مدعو الى آخر لنفس الدين الواحد الذى لا يختلف عليه اثنان ، وهو الذى أوحاه الله الى رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، والدعوة أمر من الله بتبليغ الدين تختلف كما بيّنا من شخص لآخر ، ومن مدعو لأخر ، قال تعالى : "قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين"(٢) ، وقوله تعالى : "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن"(٣).

ومن العلماء من جعلها "ميراث النبوة بعد انقطاع الوحى"(٤)، ولا يخفى أن الدعوة ليست ميراثا ، والأنبياء بلّغوا ما أوحى اليهم من ربهم ،

ومنهم من قصر الدعوة بـ "نقل أمة من محيط الى محيط"(٥)، وهذا يعنى عوامل نجاح الدعوة ، فقد يدعو الانسان ولا يستجيب له أحد كما حصل لبعض الرسل الذين لم يؤمن بهم أحد . قال تعالى : "واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون ، اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ، فقالوا : انا اليكم مرسلون"(٦).

---

(١) الشيخ محمد الراوى ـ الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص : ١١ .
(٢) سورة يوسف : آية ١٠٨ .
(٣) سورة النحل : آية ١٢٥ .
(٤) الشيخ عيسى عبد الظاهر ـ فصول فى الدعوة والثقافة الاسلامية ـ ص : ٥ ـ ط : دار القلم .
(٥) الأستاذ البهى الخولى ـ تذكرة الدعاة ص : ٣٥ ـ مكتبة الفلاح .
(٦) سورة يس : آية ١٣ ، ١٤ .

ومنهم من قصرها على : "حركة احياء للنظام الالهى الذى أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم"(١)، وهذا قاصر على الحركة وقد تكون الدعوة بالكلمة مثل الخطبة والموعظة الحسنة وبالرسالة ... الخ .

ويمكن تعريف الدعوة بأنها فعالية الداعية أو الدعاة فى توصيل دين الله الذى أوحاه الله الى رسوله الى الناس .

حكم الدعوة :

الحكم هو الوجوب لقوله تعالى : "ادع الى سبيل ربك ..."(٤) فالأمر فى الفعل ادع للوجوب . وقوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"(٣) .

واختلف هل الواجب عينى أم كفائى ؟ وهذا الخلاف ناتج عن مفهوم من فى قوله تعالى منكم كونها تبعيضية أو بيانية ، وهى واجب كما أسلفنا ، فقد تكون فرض كفاية وتتحول الى فرض عين .

هدف الدعوة هو عبادة الله لا شريك له كما جاءت به الرسل من الوحى والعبادة حكمة الدين ، يقول تعالى : "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون"(٤) .

أساليب الدعوة :

الحكمة والموعظة والاسوة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن . يقول تعالى : "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن"(٥)

---

(١) د. رؤوف شلبى ـ الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها ص: ٣٢ نفس المصدر السابق
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .
(٣) سورة الذاريات : آية ٥٦ .
(٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

وقوله تعالى : "لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة"(١).

وقوله تعالى : "قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه"(٢).

والأسوة الحسنة من الجانب العملى فى الدعوة ، الذى قد يكون أبلغ من الكلمة ٠

أهمية الدعوة :

الاصلاح هو غاية الدعوة وغاية العلوم البشرية من فلسفة وأخلاق ، واجتماع ، وان لم ننشد الهداية فيما أوحاه الله الى أنبيائه يكون الاجتهاد ضربا من ضروب الضلالة ٠ يقول تعالى عن المنافقين : "واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسنده ٠"(٣)٠

وتكمن أهمية الدعوة فى أمور :

- منها بيان الطريق الصحيح طريق الهداية الى الدين الحق ٠
- ومنها اتباع العبد للدين، ليرضى الله سبحانه وتعالى ٠
- ومنها تذكرة المسلم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠
- ومنها المحافظة على الدين وتبليغه كما بلغه الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من جيل الى جيل ٠

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢١ ٠
(٢) سورة الممتحنة : آية ٤ ٠
(٣) سورة المنافقين: آية ٤ ٠

ب ـ مفهوم العلوم التجريبية :

منذ أن هبط الانسان على هذه البسيطة ، وهو يلاحظ ويتأمل ويحاكى ما يدور حوله بدقة ، وقد أودع الله فى روعه الغريزة ، وجعل فيه خاصية حفظ ما يرصد ويشاهد فى الصدر أو السطر . يقول تعالى : "ان علينا جمعه وقرآنه"(١). ويقول أيضا : "سنقرئك فلا تنسى"(٢). ويقول : "والقلم وما يسطرون"(٣). وما قصة ابنى آدم الواردة فى القرآن الا من قبيل رصد الانسان لما يدور حوله . ومحاكاة ذلك بقدر الامكان .

وقد خص الله الانسان بتلك النعمة دون سائر خلقه وجعل له من الصفات ما يشترك فيها مع الخالق سبحانه وتعالى ، مع كون تلك الصفات فى الخالق أكمل وأتم ، وفى الانسان غير تامة وناقصة ، فالله كريم ، والانسان كريم ، والله خالق ، والانسان يخلق كذلك ... الخ .

بعكس سائر الحيوانات التى تحيا بما أودعه الله فيها من الغريزة ، مثل النحل فى قوله تعالى : "واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون"(٤) .

ونريد أن نتعرف على العلوم التى أودع الخالق سبحانه وتعالى فى الانسان القدرة على اكتسابها وبيانها .

---

(١) سورة القيامة ـ آية ١٧ .
(٢) سورة الأعلى ـ آية ٦ .
(٣) سورة القلم ـ آية ١ .
(٤) سورة النحل ـ آية ٦٨ ، ٦٩ .

العلوم جمع علم ، وكلمة علم تأتى فى مقابل كلمة جهل ، وقد عرّف العلم بأنه : "ادراك الشىء على ما هو عليه ادراكا جازما كادراك ان الكل أكبر من الجزء ، وأن النية شرط العبادة"(١). وهذا التعريف يستوى فيه العالم وغيره لكون كل منهما يدرك الشىء على ما هو عليه حتى الحيوان ، وقد عرف أيضا بأنه : "تلمس الحقائق فى عالم الحس"(٢). وهذا التعريف أيضا قاصر على العلوم المادية. ويقول ابن تيمية : "وأما ثقاة الطبائع فليس العقل الا مجرد العلم ، كما هو قول أبى الحسن الأشعرى ، والقاضى أبى بكر ، والقاضى أبى يعلى ، وابن عقيل وأبى الخطاب ، والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم" (٣) . ويمكننا القول بأن العلم هو مدى فعالية الانسان فيما خلق له .

والتجربة فى اللغة من الفعل جرّب يجرب ، والمصدر تجريب ، وهو الاختبار وجربته امتحنته واختبرته ، والرجل المجرّب : أى قد عرف الأمور وجربها ، ورجل مجرَّب بلى ما عنده (٤) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : "لا حليم الا ذو عثرة ، ولا حكيم الا ذو تجربة"(٥). ويستعمل لفظ التجربة "فيما جربه الانسان بعقله وحسه وان لم يكن فى مقدوراته"(٦).

---

(١) الشيخ محمد صالح بن عثيمين ، الأصول من علم الأصول ص : ١٣، ط : دار ضيبة ، الطبعة الأولى .

(٢) د. محمد جمال الدين الغندى ، الله والكون ص : ٥٥ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

(٣) شيخ الاسلام ابن تيمية كتاب الرد على المنطقيين ص : ٩٤ ، ط : ادارة ترجمان السنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٤) لسان العرب مادة جرب .

(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد حديث رقم ٥٦٥ .

(٦) كتاب الرد على المنطقيين المصدر السابق ص : ٩٤ .

أى أن هناك تجربة يتحكم فيها الانسان بقدراته من حذف أو اضافة أو تعديل بعض العوامل بقصد السير والتقسيم للمؤثرات لمعرفة الآثار على الظواهر الطبيعية ٠ فمثلا لاحظ بعض العلماء أن فطر عفن الخبز مثلا يفرز مادة تقضى على الجراثيم أو توقف نموها أو تضعفها ، فبعد التجربة والحذف لبعض المواد التى يتكون منها العفن وجد أن مادة البنسلين هى المؤثرة على هذه الجراثيم ، وثم تطوير هذه المادة وانتاج أنواع أخرى عن طريق اضافة بعض المواد ، لتكون أكثر فعالية للقضاء على الجراثيم التى تسبب الأمراض للانسان والحيوان ٠

وان كانت التجربة تخضع لقدرات الانسان وفعاليته كما بينا فان الحدس ما "كان خارجا عن قدرته"(١) أى قدرة الانسان مثل علوم الفلك التى يرصدها الانسان ويتتبع جريانها فى أفلاكها ودورانها حول محورها ، وبعض العلوم الانسانية التى تحرم القوانين والأخلاق اجراء التجارب عليها ٠

والملاحظة هى الرصد الهادف للشىء أو مشاهدته مشاهدة هادفة على ما هو عليه أى بدون تأثير على الشىء المرصود ، فعن طريق الملاحظة والتجربة يمكن معرفة شروط تحقيق الظاهرة ، وبذا يمكن التنبوء بعودتها متى تحقق شرط وجودها ٠ فالتجربة اذن : "ملاحظة الظاهرة بعد تعديلها تعديلا كبيرا أو قليلا عن طريق بعض الظروف المصطنعة"(٢).

والملاحظة ان لم تكن رصدا وتتبعا هادفين كانت عابرة لا تزيد فى المعارف الانسانية ، وما كانت ملاحظة علمية تزيد من المعارف الانسانية لامكان الربط بين الملاحظات وتنسيقها وثبوتها لاستخلاص النتائج الجديدة ٠

---

(١) كتاب الرد على المنطقيين ص ٩٣ ٠ مصدر سابق ٠
(٢) دكتور محمود قاسم المنطق الحديث ص : ١٠١ ، ١٠٢ ٠

ونضرب مثالا حتى نعرف الفرق بين الملاحظتين : اذا قذف حجر الى أعلى فيلاحظ أن سرعة الحجر تتناقص تدريجيا ثم تنعدم ثم يسقط بسرعة متزايدة تبلغ أقصاها عند ارتطامه بالأرض ٠

فالملاحظ العادى أو العابر يشاهد ذلك دون اعتبار وتدبر لما حدث ، وأما الملاحظ العلمى فيدرس أسباب تناقص سرعة الحجر الى أعلى وزيادتها تدريجيا عند هبوطه الى أسفل بالرغم من مقاومة الهواء فى الحالتين ، فيستنتج مثلا أن الجاذبية تكون العامل المؤثر على تناقص السرعة فى حالة الصعود وزيادتها فى حالة الهبوط ٠

فهذا يعتبر تفسيرا لما حدث من هذه الظاهرة ، وكذلك تفسير بعض الظواهر مثل المطر والبرق والرعد والرياح والتيارات البحرية ٠٠ الخ٠ ونظرا لان وسائل الادراك فى الانسان قاصرة عن ادراك كثير من المخلوقات والظواهر التى قد تسبب الكثير من المتاعب للانسان لذا فبفضل من الله تقدست اسماؤه وصفاته ، "٠٠٠ الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى"(١) . استطاع الانسان اختراع الوسائل التى تمكنه من زيادة قدرة وسائله الادراكية ، واستطاع أن يصحح كثيرا من تفسيراته للكون المحيط به ٠

فمثلا عندما نظر الانسان الى السماء شاهد هناك ما يشبه الغبار المنثور ففسر هذه الظاهرة على أنها المادة الأولية التى تتكون منها السيارات السابحة فى هذا الكون الفسيح ، وبعد اختراع المقربات والمراصد الضخمة عرف أن هذا الغبار يمثل مجرات تحوى ملايين النجوم والكواكب ، والتى تعتبر المجموعة الشمسية قزما بالنسبة لها ٠

ونستطيع القول بأن الملاحظة العلمية تتناسب تناسبا طرديا مع دقة وسائل الادراك ٠

---

(١) سورة طه ـ آية ٥٠ ٠

وعن طريق التجربة يمكن التثبت من صحة الفروض والقوانين الموضوعة لتفسير الظواهر ٠

موضوع العلوم التجريبية :

مادة وموضوع العلوم التجريبية هى الظواهر المادية التى يدركها الانسان بوسائله الادراكية من بصر وسمع وشم وحس وذوق بطريقة مباشرة مثل الظواهر الطبيعية من فلك وهواء وصواعق وأمطار وأمراض وتيارات ٠٠٠ الخ ٠

وبطريقة غير مباشرة بدراسة آثار الظواهر ، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة العلمية والتجربة أو بكلتيهما معا ٠

أنواع العلوم التجريبية :

لقد تعددت أنواع العلوم التجريبية بتعدد الظواهر المادية محل الدراسة والملاحظة العلمية والتجريبية ، بتعدد المناهج المتبعة فى الكشف عن السنن الالهية التى فطر الكون عليها ، والتى تحكم الظاهرة فمثلا تخصصت علوم الطبيعة بدراسة ظواهر الضوء والحرارة والطاقة والصوت والكهرباء والمغناطيسية ٠٠٠٠ الخ اختصاصات هذا العلم ٠ وتخصص علم الكيمياء بدراسة العناصر وتركيبها وعلاقتها مع غيرها من العناصر من فلزية وغير فلزية ، والمركبات الكيميائية الحمضية أو القلوية أو المتعادلة ، وطرق التفاعل ومخرجاتها ، وقد سميت عند العرب بعلم الصنعة ٠

وعلوم الاحياء التى تدرس وتبحث فى المواد العضوية والحيوانات والنباتات والحشرات ووظائف الأعضاء ٠

وعلم الأحافير أو الحفريات (الجيولوجيا) الذى يبحث فى طبقات الأرض ، ومعرفة أنواع الصخور وتقسيم عصور ظهور الحياة على الأرض ٠

وعلوم الفلك والتى تخصصت فى دراسة السيارات والتوابع وافلاكها وتحديد كتلها وأبعادها ، وأوقات الخسوف والكسوف والسنن التى تحكمها . وعلوم الطب البشرى والبيطرى ، ويبحث فى طرق العلاج والوقاية من الأمراض . وعلم الميكانيكا الذى يدرس حركة الأجسام المادية وسرعتها وتغير تلك المعدلات عند التعرض لتأثير قوى أخرى ... الخ تلك العلوم التى تزداد تخصصا يوما بعد يوم لتزداد خبرة الانسان والذى يجب أن نؤكد عليه أنه بالرغم من التقدم الهائل فى مجال العلوم المختلفة فان الانسان ما أوتى من العلم الا قليلا .

أهداف العلوم التجريبية :

أهم أهداف العلوم التجريبية هو استخلاص المبادىء والنظريات العملية التى تبحث فى شروط تحقق أو حدوث الظاهرة الطبيعية أو المصطنعة للتنبوء بحدوثها متى تحقق شرط وجودها ، والاستفادة منها بتسخيرها لمصلحة الانسان ورفاهيته ، ورفع الأعباء التى كانت تثقل كاهله ، أو التى تضعفه وتسبب له الكثير من الأمراض التى تفتك به .

ولكل علم من العلوم المذكورة آنفا أهداف نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر ، وللتقليل من الاطالة وهى :

فمن أهداف علم الطبيعة : توليد الطاقة الكهربائية وأوجه استخدامها التى لا تخفى على أحد نظرا لضرورتها فى هذا العصر ، والاستفادة من الأصوات ذات الموجات القصيرة فى التصوير والكشف عن الثروة السمكية مثلا ، وتحويل الطاقة الى حركة والحركة الى طاقة ، لتسيير الالات والقاطرات والسفن البحرية والفضائية ... الخ هذه الاستعمالات .

وعلم الكيمياء الذى يهدف الى ايجاد مركبات جديدة وسبائك جديدة لتستعمل فى صناعة الآلات وتتحمل الضغط والحرارة وتمنع الأشعة القاتلة من اختراقها فى حالة سفن الفضاء مثل الأشعة الكونية وفوق البنفسجية الضارة بالانسان اذا ما تعرض اليها بصفة مباشرة ٠٠ الخ هذه الاستعمالات ٠

وعلم الطب والصيدلة وما ينتجانه من أدوية تخفف من الآلام البشرية وتقضى على كثير من الأمراض وتساعد الانسان على الشفاء من الأمراض باذن الله ٠

وعلم الأرصاد والفلك وامكانية التنبوء بالأحوال الجوية حتى يمكن الاستعداد لتقليل الخطر الناجم عن كثير من الظواهر الطبيعية المدمرة كالصواعق والعواصف والزلازل والبراكين ٠٠الخ الفوائد المتحققة من هذا العلم ٠

ونكتفى بهذا القدر من فوائد استخدام العلم التجريبى الكثيرة والتى لا يمكن حصرها فى مبحث قصير ٠

ومما هو جدير بالذكر أن هذه العلوم لا تخلق شيئا من العدم وانما تقتصر على الكشف عن فطرة الله فى هذا الكون ، وفى شروط تحقق الظواهر الطبيعية والاستفادة منها ، بل وتسخيرها فى تدمير الانسان ، وتتباهى الدول الكبيرة بأن ما لديها من سلاح يكفى لاعدام الحياة على هذه الأرض ٠

فبدلا من أن تكون هذه العلوم مطية للوصول لرضاء الله تعالى ومعرفة نِعَمه الحقة على الانسان ، نراها تستخدم فى معصية الله ، بل وأكثر من ذلك عندما اسندوها الى وهم عشعش فى أذهانهم لتخدم أغراضهم وأهوائهم فبدلا من شكر النعمة جحدوا بها ، ولم يسندوها الى قيوم السماوات والأرض الذى خلقها بالحق ، وبدلا من الاستدلال على

النشاة الأخرى بالنشاة الأولى نجدهم ينكرون الآخرة ، والاعادة عادة تكون أهون من البداية ، وليس على الله أى اعياء سواء فى الأولى أو الآخرة . يقول الله تبارك وتعالى : "أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشاة الأخرة ان الله على كل شئ قدير"(١) ، بل جعلوا أن مجرد ذكر الله فى بحث من البحوث يخرجه عن علميته .

مصادر المعرفة الانسانية :

ليست التجربة المصدر الوحيد للمعرفة الانسانية ، ولقد اعتبرها الغرب المصدر الرئيسى للعلم بنسبة كبيرة حتى أنه قصر الايمان على ما يدركه الانسان بحسه وينكر ما بعد ذلك ، وكأنه حكم بأن مالا يعلمه أنه معدوم ولا أصل له ، الا من رحم ربك وقليل ما هم . قال تعالى "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله"(٢).

وأهم مصادر المعرفة الانسانية :

أ - الخبر :

وهو ما يعود الى شهادة الغير ، اما عن طريق السمع أو طريق النقل ، والخبر له أهمية كبيرة فى حياة الناس ، اذ ليس فى مقدور البشر التثبت بأنفسهم من صحة كل ما ينقل اليهم لا سيما اذا كانت الحادثة تاريخية وانمحت آثارها الطبيعية .

وينقسم الخبر الى نوعين :

١ - خبر الاحاد : وهو ما نقله فرد أو أكثر مما لم يبلغ حد التواتر .

٢ - الخبر المتواتر :وهو ما نقله جمع عن الجمع التى تحيل العادة . تواطئهم على الكذب كأن يكونوا من بلاد مختلفة أو توافر فيهم شرط العدالة .

(١) سورة العنكبوت - آية ١٩ ، ٢٠ (٢) سورة يونس - آية ٣٩ .

ب ـ المجربات :

وهى الخبرة العملية أو تكرار "اقتران أحد الأمرين بالآخر امـــا مطلقا واما بالشعور المناسب"(١) كحكمنا بأن الضرب موءلم ، وجز الرقبة يوءدى للموت فالحس يدرك ذلك تمام الادراك ، فتوثق الاعتقاد بذلك .

جـ ـ المشهورات :

وهى قضايا تم التعارف عليها بين الناس وتم نقلها من جيل لآخـر مثل الكرم وافشاء السلام ، وصلة الأرحام .

د ـ المظنونات :

وهو ما يصدّق به الانسان ولكن ليس بشكل تام ، وهناك فرصة لنقـض هذا التصديق ، وتقع فى دائرتها كثير من القوانين والنظريـات التى لم ترتق الى الحقيقة اليقينية ، مثل النظرية الذريـة وغيرها .

هـ ـ الحدسيات :

وهى الانتقال مباشرة من المبادىء الى المطالب دون المرور بمرحلة البرهنة على ذلك ، ويسمى حدس النفس ، ويقع لصفاء الذهن فيذعـن الفكر له (٢).

علاقة العلوم التجريبية بالدعوة الاسلامية :

تبين لنا أن العلوم التجريبية تبحث فى السنن والنواميس التى تحكم الظواهر الطبيعية للكون المحيط بنا ، فتكشف لنا ما شاء لنا أن نكشف مـع قلته ولا يتم ذلك الا بتوفيق من الله . يقول تعالى : "كلا نمـد

(١) كتاب الرد على المنطقيين ص : ٩٥ مصدر سابق .
(٢) محاضرات الدكتور جلال موسى .

هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا"(١). وما توفيق الله للانسان بهذه الاكتشافات الا دعوة من الله للتعرف عليه وعبادته كما يريد وطبقا لما جاءت به الرسل من ربهم . يقول تعالى : "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"(٢) ، ويقول تعالى أيضا : "سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، ألا انهم في مرية من لقاء ربهم الا أنه بكل شيء محيط"(٣). ومن حكمة الله أنه أوحى هذا القرآن على رجل من الأميين لا يعرف القراءة والكتابة ليكون أبلغ في الحجة وأقوى في البرهنة على أنه من عند الله لاسيما وأنه تحدى البشرية جميعا الى يوم القيامة .

والدعوة الاسلامية دعوة لعبادة الله والاستقامة على صراطه المستقيم ليكون الفلاح في الدنيا والآخرة بالبرهان الذي لا يقوم العلم الا به ، واحتوت آيات الذكر الحكيم على علم لم يكشف النقاب عنه الا في عصر العلم الحالي أو في المستقبل .

فالآيات الكونية تدل على فاطرها ومبدعها وتدعوا اليه تماما كالدعوة الاسلامية عندما تدعو البشر الى فاطر السماوات والأرض ، "فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدق رسله ونوعها وجعلها للفطر تارة ، وللمشاهدة تارة ، فجعلها آفاقية ، ونفسية ، ومنقولة ، ومعقولة ، ومشهورة بالعيان ، ومذكورة بالجنان"(٤) .

---

(١) سورة الاسراء ـ آية ٢٠ .
(٢) سورة الأنبياء ـ آية ٣٠ .
(٣) سورة فصلت ـ آية ٥٣ ، ٥٤ .
(٤) ابن القيم الجوزية "التبيان في أقسام القرآن" ص : ١٧٢ .

الفصـــل الأول

مكانة العلم التجريبـــى وضوابطـــه

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : مكانة العلم التجريبى فى الاسلام

المبحث الثانى : الضوابط الاسلامية للعلوم التجريبية

المبحث الأول

مكانة العلم التجريبى فى الاســـلام

وقبل أن نتكلم عن المكانة العلمية الرفيعة التى كان الديـــــن الاسلامى قد أحدثها وشجعها ورفع مكانة العلماء وشهادتهم مكانا عليـــا حيث أوردها سبحانه وتعالى مع شهادته وشهادة ملائكته الكرام بقولـــه تعالى : "شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائمـــا بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم"(١).

نود أن نذكر بصورة مختصرة عن الأحوال والثقافات التى كانـــــت سائدة قبل الاسلام عند غير العرب ، والعرب خارج الجزيرة العربية ، وفى داخلها حتى ندرك البون الشاسع بين ما قبـــل الاسلام وما بعده ٠

انتشار الثقافة اليونانية :

لقد نجح الاسكندر فى هزيمة الامبراطورية الفارسية والتى تقع علـــى أطراف جزيرة العرب ، حيث كانت الامبراطورية الفارسية هى الدولـــــة الوحيدة التى كانت تسيطر على منطقة الشرق ، وبذلك وقع الشرق تحـــت الحكم اليونانى ، فأدى الى امتزاج الثقافة اليونانية بالثقافـــــة الشرقية فى بلاد فارس ٠

ان التقدم فى العلوم يدور مع التجمعات البشرية سيما المدنيـــة منها ، فالملاحظ أن سكان المدينة أكثر حضارة ورقيا من سكان البادية الذين هم أقرب الى الفطرة من اضرابهم سكان المدينة ، وعندما تكـــون المدينة مركزا لتلاقى أجناس شتى ، تكون العلوم أكثر تطورا وتقدمـــا من التى تسودها ثقافة جنس معين يقيم بها ، وعندما تأتى ثقافـــــة

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٨ ٠

جديدة من خارج البلاد ينتج عن هذا الامتزاج ثقافة جديدة كمحصلة للثقافتين تكون أكثر من سابقتها قوة وازدهارا ٠

واذا تقرر ذلك نصل الى تكون ثقافة جديدة فى الشرق نتيجة امتزاج الثقافة اليونانية بالفارسية ، وقد اهتم القواد الذين ورثوا امبراطورية الاسكندر بالعلوم ، فجعل كل منهم حاضرته مركزا للعلوم ، واستقطب العلماء والفلاسفة من كل حدب وصوب ٠

فكانت مصر من نصيب القائد بطليموس ، الذى اتخذ من الاسكندرية حاضرة ، وجعل منها أهم المراكز الثقافية اليونانية ، وانتقل الحكماء المصريون من معبد هليوبلس الى الاسكندرية ، والتى اشتهر فيها كثيرا من الأطباء أمثال جالينوس وأبقراط ، وفى علوم الرياضة اشتهر اقليدس ٠

وورثت الحضارة الرومية الحضارة اليونانية وثقافتها ، وحملتها ثانية الى الشرق عندما وقع تحت سيطرتها ٠

ولم يقتصر الأمر على كل من قادة اليونان وروما ، فى جعل حواضرهم مركزا للعلوم ، وانما تعدى هذا الأمر الى الشرق أيضا ، فقد بنى سابور الأول ، مدينة جندى سابور فى حوالى القرن الثالث الميلادى، وجلب من أجل ذلك العلماء الذين أسروا فى الحروب التى كانت تدور بين فارس والروم ، بل "ان كثيرا من الفرق المسيحية والفرق المارقة كان قد قدر لها أن تبتعد عن الدولة الرومانية الشرقية التى كانت تضطهدها فوجدت ملاذا لها فى دولة الفرس الساسانيين ، حيث استطاعت مواصلة عملها ، حتى عندما خضع هذا القطر للسلطان الاسلامى"(١).

وكانت بلاد الشام مسرحا للحروب بين فارس والروم ، لذا راجت فيها أيضا ثقافات مختلفة وعلى الأخص حرّان ، وكان لهذا أثره على

(١) الدومبيلى العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص : ١٢١ – دار القلم الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ٠

العالم الجليل ابن تيمية ، فهضم علوم عصره ، ورد بكل اقتدار على المناطقة والفلاسفة ٠

وبالرغم من ظهور الثقافات الجديدة قبل الاسلام الا أنه "لا ريب أن الحضارة والعلم فى العصر الاغريقى ـ الرومانى القديم قد انخفضا ـ فى أواسط القرن الثالث الميلادى ـ عن المستوى الرفيع الذى كانا وصلا اليه فى الأيام الزاهية باليونان وروما"(١).

حالة العرب قبل الاسلام :

لم يكن حال العرب قبل الاسلام يسهل قيام حضارة علمية زاهية ، فقد كانت بعيدة كل البعد ـ لا سيما قلب الجزيرة العربية ـ عن التأثر بالثقافات المختلفة المحيطة بها قبل الاسلام ، وان كان هذا الأثر غير معدوم لا سيما فى الأطراف الشمالية والشرقية والجنوبية فى كل من الشام والحيره والبحرين واليمن ، حيث كانت تسود كما أسلفنا كل من الثقافة الفارسية والرومانية وريثة الحضارة الاغريقية ، وما ترتب عليه من امتزاج الثقافتين ، وفى هذا ينوه الله تعالى عن ظاهرة الصراع بين الدولتين بقوله تعالى : "غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون"(٢). وفى الجنوب كانت أيضا الثقافة الفارسية التى امتزجت بالثقافة الحبشية ٠

وأما تأثير تلك الثقافات فى وسط الجزيرة العربية فقد كان ضعيفا لانطواء القبائل على نفسها ، وطبيعة المناخ الصحراوى الجاف حيث اشتغل الناس بالرعى الذى يؤدى الى عدم وجود تجمعات كبيرة تقوم

---

(١) الدومبيلى العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ص ٦٨، دار القلم الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ٠

(٢) سورة الروم ـ آية : ٢ ، ٣ ، ٤ ٠

على كاهلها النهضة العلمية ، وكانت الصحراء مع الجبال تشكل مانعا طبيعيا من غزو قلب الجزيرة من قبل فارس والروم ، وأيضا لعدم رغبة هذه الدول حينئذ فى السيطرة على أواسط الجزيرة ، وعدم وجود خطر حقيقى من شعب الجزيرة يهدد تلك الدول ٠

ولم يخل الأمر من محاولة الحبشة السيطرة على الجزء الغربى من الجزيرة والقادمة من اليمن تحت امرة ملك الحبشة أبرهه لهدم الكعبة التى كان العرب يعظمونها قبل الاسلام ، وصرف العرب للحج الى القليس الذى بنى فى اليمن ، وكانت هذه الغزوة فى عام الفيل ، العام الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد فشلت هذه الحملة قبل أن تصل الى مكة بعدة أميال ، وقد أهلك الله هذا الجيش ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول" (١) .

وكانت عبادة الأصنام والكواكب والنجوم سائدة فى الجزيرة ، وكانت تلك الأمة أمية بمعنى الكلمة ، يقول الحق جل ذكره : "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم" (٢) .

واهتم العرب كذلك بالنجوم ، فبالاضافة الى عبادتها كانوا يهتدون بها فى ظلمات البر لترحالهم الدائم فى الصحراء ٠

---

(١) سورة الفيل –
(٢) سورة الجمعة – اية ٢ ، ٣ ٠

واهتموا كذلك بالجهة التى تهب منها الرياح ، ليهتدوا بها أيضا فى أسفارهم "ووضعوا لها الأسماء ولكنهم اختلفوا فى عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة ، والبعض الآخر أربعة "(١).

ولقد برع العرب فى الشعر ووضع المعلقات على الكعبة ، والفصاحة التى بلغت أوجها فى مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبرعوا كذلك فى اقتفاء الأثر ، ليبنشدوا ضالتهم ، وحدث أن اقتفوا آثار الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان فيهم من الصفات الحميدة مثل الكرم والنجدة والشجاعة والالتزام بالعهود والمواثيق وحسن الجوار ، ونصرة المظلوم وكانوا أقرب الناس الى الفطرة من غيرهم "والله أعلم حيث يجعل رسالته "(٢).

وقد اعترف توماس كارليل بأهمية الاسلام بقوله : "لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور ، وأحيا به أمة هامدة ، وما كانت هذه الأمة الا فئة جوالة فى الصحراء ، خاملة فقيرة تجوب الفلوات. ومنذ بدء الحياة لا يسمع لها صوت ولا نحس منها حركة ، فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من عنده ،ورسالة من قبله ، فاذا بالخمول قد استحال شهره ، والغموض نباهة ، والضعف قوة ، واذا النور الخافت قد أضحى نورا وهاجا يملأ الأنحاء ويعم الأرجاء"(٣) . فاستحقوا أن يكونوا خير أمة على وجه الأرض تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتنشر العلم أينما حلت وارتحلت ، ووجد العلماء من غير المسلمين الحماية والرعاية فى ظل دولتها ونشرت العدل والحرية والمساواه ، وكانت الأمم من حولها تنظر اليهم نظرة المخلص من الجور والعبودية ،

---

(١) د. عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص : ٣٩ ـ ط : دار الفكر العربى .

(٢) سورة الأنعام ـ آية ١٢٤ .

(٣) د. عز الدين فراج "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص : ٤١ . مرجع سابق .

وتنفس الناس الصعداء تحت ظل رايتهم ، وقد خسر العالم الكثير والكثير بانحطاطهم وتخلفهم فسادت الوحشية والهمجية باسم العلم والحرية ، وصار أذناب الناس سادتهم ، وتولى الأمر من ليس له بأهل ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

ومع التشابه الكبير فى الظروف المعيشية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين أمة اليهود وأمة العرب ، الا أن اليهود أهل التوراه والعرب ليسوا كذلك ، وكانت العرب تستشير يهود فى بعض الأمور ، وكان بينهم احلاف لا سيما مع الأوس والخزرج فى يثرب ، ولهذا عندما بُعِث محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأت قريش أن تستوثق من النبأ أرسلت وفدا الى يثرب ، لتسأل يهودا ، لان عندهم من العلم ما ليس عند العرب ٠

ولقد عبر جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه عن حالة العرب قبل الاسلام أبلغ وأصدق تعبير عند نجاشى الحبشة قائلا "أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، ـ قالت (الراوية) فعدد عليه أمور الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا..."(١).

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ـ ص : ٢٩٠ ج ١ ـ ط : مكتبة الكليات الأزهرية ٠

الحركة العلمية بعد ظهور الاسلام :

بهذه الروح العظيمة استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يغير هذه الأمة بما أوحاه الله له، وبهذا الأسلوب استطاع اخراج الناس "من عصر الانحطاط العميق بالبلدان التى كانت من قبل تعد قسما من امبراطورية دقلديانوس القديمة"(١).

ولم تكن صدفة أن الآيات الأول من الوحى التى تلقاها النبى عليه الصلاة والسلام تأمر بالعلم حتى لمن لا يعرف القراءة والكتابة ، فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : "... فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ،قلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم.."(٢) .

تبين لنا الأهمية التى أولاها الوحى فى أول اتصال بين الملأ الأعلى والانسان على وجه الأرض ، للقراءة لأنها أهم وسيلة لتحصيل العلوم ، وسميت أمة العرب أمّية لندرة من يعرف القراءة والكتابة فيها .

الاسلام قائم على العلم الصحيح ويحث عليه :

قال تعالى : "يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا لكم نورا مبينا"(٣)، أى بالدليل والحجة . وليس لنا فرضه على الذين نحب لهم الهداية حيث يقول تعالى : "انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء"(٤) .

---

(١) العلم عند العرب ص : ٧٤ ـ مصدر سابق .
(٢) رواه البخارى فى كتاب بدء الوحى .
(٣) سورة النساء ـ آية ١٧٤ .
(٤) سورة القصص ـ آية ٥٦ .

وينعى على الذين يتبعون الظن ولا يصدقون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه "قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون"(١)، أى هل استندتم فى رفضكم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على علم صحيح أم على ظن كاذب؟ .

وينعى القرآن الكريم على التقليد الأعمى دون تبصر ودون نظر "واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير"(٢).

وقد قام الصحابة فى الفجر الأول للاسلام بالمنهج العلمى الصحيح القائم على التثبت من صحة المقال أو تأويل الحال .

فخديجة رضى الله عنها أرادت أن تطمئن عما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبرها "... لقد خشيت على نفسى"(٣) ، فذهبت الى ابن عم لها يدعى ورقة بن نوفل ، كان قد تنصر ، وعنده علم مما قرأ وسمع من أهل الكتاب ومن التوراه والانجيل فقال ورقة :"قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى (عليه السلام) ، وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبت"(٤).

ولقد قامت رضى الله عنها بالتثبت بنفسها - بعد أن طمأنها غيرها - من حاله عليه الصلاة والسلام مما يذكر، أوحى من الله أم رؤيا يراها النائم؟أم من شيطان،فكلمته أن يخبرها ان جاءه صاحبه . فلما جاءه جبريل عليهما السلام أخبرها ، فأجلسته على

---

(١) سورة الأنعام - آية ١٤٨ .
(٢) سورة لقمان - آية ٢١ .
(٣) رواه البخارى .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ص: ٢٢٢ .

فخذها الأيسر ، فقالت له : هل تراه ، قال : نعم ، ثم أجلسته على فخذها الأيمن ، وقالت : هل تراه ، فقال : نعم ، ثم أجلسته في حجرها ، وقالت هل تراه ، قال : نعم ، ثم تحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ، قال : لا ، قالت : يا ابن عم اثبت وأبشر ، فوالله انه لملك وما هذا بشيطان (١). فتيقنت رضى الله عنها من صحة حاله عليه الصلاة والسلام ، واستدلت من أخلاقه وصفاته على أنه نبى هذه الأمة قائلة : "كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق"(٢) .

وتوالى البرهان الربانى على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدوره يبلغه مشافهة ويأمر كتاب الوحى بكتابته ، وكان يحب أن يسمعه من غيره ، ولم يقتصر الخطاب فى آيات الله على فئة دون فئة ، ولكنه خاطب المكلفين من الثقلين الانس والجن ، فيرد البدوى بما لديه من علم على كل المنكرين مستدلا على وجود قيوم للسماوات والأرض بقوله : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير.

فالقرآن الكريم القائم على البرهان يدعو للتعرف على مخلوقات الله ودراستها ليبين لنا الأشياء الممكن دراستها وملاحظتها وشاء لنا فى ذلك ونهانا عن محاولة الخوض فى ذاته سبحانه ، لانه بكل بساطة لا يحيط الانسان بذلك علما ، بالاضافة الى أن معارف الانسان لا تتعدى ما تدركه حواسه ، والله سبحانه وتعالى لا تدركه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ص : ٢٢٣ .
(٢) رواه البخارى .

الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، إن الانسان يحكم بعدم علمه على عدم الوجود اذ يقول تعالى : "أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد"(١) .

"ان القرآن الكريم لم يكتف بحث العقل على العمل ، وترك التقليد والجمود ، لكنه أثار أمامه مسائل وقضايا ، وعالجها كنماذج لما ينبغى أن يكون عليه العقل وهو يؤدى الرسالة المنوطة به، واصطلح الناس على تسمية مثل هذه المسائل قضايا فلسفية أو علمية تجريبية ٠ (٢) اذ يقول تعالى :"وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون"(٣).

وهناك آداب يجب على المسلم أن يتبعها تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم كحثه للاستزادة من العلم والصبر فى طلبه ، والتأنى وترك الاستعجال والانصات حتى يفرغ جبريل من القراءة . يقول تعالى : "فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما"(٤). ويقول تعالى أيضا : "لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه"(٥). فعلى الانسان اتباع الحق لا الميل مع الهوى ، وضرورة الاستمساك بالحق القائم على العلم ٠

وما احرانا نحن المسلمين اتباع هذا المنهج القويم فى هذا العصر الذى يسمى عصر العلم ، عصر الافتتان بالحضارة الغربية المادية

---

(١) سورة ق – آية ٣ ٠
(٢) د٠ محمد الشرقاوى "تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم" ، ص : ٢٨ ، ط : عالم الكتب ٠
(٣) سورة الذاريات – آية ٢٠ ، ٢١ ٠
(٤) سورة طه – آية ١١٤ ٠
(٥) سورة القيامة – آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ٠

وجعل المادة هى شغل العلماء الدائم ، ونسوا يوم الحساب . يقول تعالى : "ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون"(١).

ولقد اهتم المسلمون فى القرن الأول بدراسة القرآن الكريم وتفسيره وجمعوا القرآن فى مصحف واحد ونسخوا منه عدة نسخ وزعوها على الأمصار لحفظ كتاب الله من التحريف والتصحيف ، واهتموا كذلك بعلم نزول الآيات وشئونها ، وأسباب النزول ، واهتم المسلمون كذلك بالسنة النبوية المطهرة ، ووضعوا القواعد الصحيحة وهى علم أصول الحديث من حيث قبول أو رد الرواية مما يعد أصلا عظيما فى التحقيق والتثبت ، كما اهتموا بعلم الأصول وهى الطرق التى يسلكها الفقهاء فى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، واهتم المسلمون باقامة المساجد التى كانت منارات للعلم .

اهتمام خلفاء المسلمين بالعلم :

تبين لنا مما سبق كيف حث القرآن على العلم والتفكر والتدبر فى آيات الله التى فطر الخلق عليها ، واهتم المسلمون بذلك أيما اهتمام وذلك لأسباب منها :

- لفهم آيات كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القائمة على البرهان والعلم "فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم يدخل هذا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : انه ممن قد علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، مما رأيت انه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم ، فقال :

---

(١) سورة الأحقاف - آية ٢٠ .

ما تقولون فى قول الله عز وجل "اذا جاء نصر الله والفتح"(١)؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصرالله وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال : "اذا جاء نصر الله والفتح"(١) فذلك علامة اجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا"، فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها الا ما تقول"(٢). والعلوم الطبيعية تعين المسلمين على تادية الفرائض التى كتبها الله على المسلمين فى الأوقات المعلومة . ولذا اهتم المسلمون بالعلوم الفلكية لتحديد اتجاه القبلة ومعرفة أوقات الصلاة واخراج الزكاة اذا حال الحول ، ومعرفة شهر الصيام ، ومواقيت الحج ، واتباع العدل فى تقسيم المواريث والوصايا مما جعل المسلمون يهتمون بعلم الحساب وغيره .

ويروى أن عمر بن الخطاب طلب من أبى لوءلوءة غلام المغيرة بن شعبة أن يعمل له رحى(٣) . وكان رائد المسلمين فى ذلك الحكمة ضالة المومن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، وطلب العلم من أبعد الأماكن حتى الصين ، ولذلك فقد عبر المسلمون الفيافى الشاسعة فى طلب العلم وتحصيله ونشره بين الناس . ومن شدة اهتمام الخلفاء بالعلم ، فقد فرضوا العلم على أبنائهم وذويهم وأتباعهم من حفظ القرآن الكريم ، واستقطاب العلماء من كل الأصقاع ، وقد أغدقوا الأموال الطائلة على العلماء ، وعلى المترجمين ، وذلك لأن أمة العرب التى قام فيها الاسلام لم تكن كما بينا ذات باع طويل فى العلوم،وانما كانت أمة أمية بدوية كثيرة الترحال ، تتبع منابت العشب والكلأ.

---

(١) سورة النصر ـ آية ١ .

(٢) تفسير ابن كثير ص : ٥٦١ ج ٤ ـ الناشر / دار المعرفة لبنان .

(٣) السيرة النبوية لابن عبد الوهاب ص : ٤٨٥ .

وظهرت حركة الترجمة فى حاضرة الدولة الاسلامية فى دمشق ، وكانت بدايتها على يد خالد بن يزيد ابن معاوية الذى استقطب العلماء من مصر لترجمة الكتب اليونانية والسريانية التى كانت سائدة فى الشام قبل تولى المسلمين عليها ، وهذا يعنى أن المسلمين حفظوا التراث العلمى القديم من الضياع ولم يكتفوا بذلك كما يشيعه المستشرقون وانما زادوا عليه زيادات جوهرية قائمة على المشاهدة والتجريب بعد أن كانت مقتصرة على النظر العقلى والاستخلاص المنطقى عند اليونان ٠

واستمرت النهضة العلمية وبلغت أوجها فى عهد هارون الرشيد وابنه الخليفة المأمون ، فهارون الرشيد "اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة لكل مسجد فى جميع أرجاء ملكه"(١)، وقد دفع هارون الرشيد بابنه المأمون الى العلماء ليتتلمذ على أيديهم العلم واللغة والأدب وله وصية عظيمة لو وعيناها لتعلمنا منها الكثير وهى وصية هارون الرشيد للأحمر قائلا "يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجه نفسه ، وثمرة قلبه ، فتصير يدك عليه مبسوطه وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن وعرفه الأخبار ، وروه الشعر ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة"(٢) .

---

(١) الأستاذ محمد فريد وجدى "الاسلام فى عصر العلم" ص : ٤٤٨ عن كتاب التنازع بين العلم والدين

(٢) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص : ٣٤ مصدر سابق ٠

وأتت هذه التربية ثمارها فى عهد الخليفة المأمون ، والذى ان لم يكن خليفة لكان أحد العلماء البارزين ، وقد نشطت حركة الترجمة فى عهد الخليفة المأمون أيما نشاط ، وبلغت الهدايا والأعطيات للمترجمين وزن ما يترجمون ذهبا ، ونتيجة للانكباب على العلم والترجمة راجت صناعة الورق لكثرة ما ترجم وألف فى هذا العصر ، وظهرت المكتبات نتيجة لما استقطب من كتب مثل بيت الحكمة فى بغداد ٠

وقد صالح الخليفة المأمون ملك الروم على أن يرسل له الكتب التى عنده ، وكان الخلفاء فى غزواتهم يأخذون كل ما يقع تحت أيديهم من كتب ويترجمونها ، ولم تكن الحركة العلمية قاصرة على العرب وحدهم ، بل ظهر فى ظل سماحة الاسلام العلماء من كافة الملل والنحل بتشجيع من الأمراء المسلمين ، وكان الخليفة يدعو لطبيبه جورجيوس بن يختشيوع النصرانى ٠

وترجمت الكتب العديدة الصالح منها والطالح دون تمييز لوجود مترجمين غير مسلمين ، فترجمت كتب الفلسفة والمنطق ، ومع أن الكتاب الكريم بين لنا المسائل التى يجب أن يوجه الانسان عقله للبحث والنظر والتجريب ، ومنعه من مسائل أخرى كالخوض فى ذات الله ،وطلب منه اثبات ما أثبته لنفسه ، ونفى مجمل لما نفاه عن نفسه ، الا أنه قد ظهرت الطوائف التى خاضت فيما نهيت عنه كالمعتزلة والأشعرية والجهمية ، واخوان الصفا من الفلاسفة ، لهذا فقد "استاء أئمتنا الكرام فى عهد المأمون من دخول الفلسفة اليونانية الى معاهدهم العلمية (١) ٠ وما أمروا الا ليبحثوا عن العلم الصالح القائم على الحق وليس على الهوى والشبهات مثل آراء الفلاسفة والمناطقة ، وكان ذلك سببا رئيسا لضعف المسلمين فيما بعد ٠

---

(١)محمد فريد وجدى "الاسلام فى عصر العلم" ص : ٦٣٠ ٠

ومن الأسباب الرئيسية التى أدت الى ازدهار العلم بالاضافة الى ما سلف :

أولا : المنهج العلمى الذى حث عليه القرآن للنظر فى الكون المحيط بالانسان وهو المنهج الاستقرائى أو التجريبى القائم على الحس والمشاهدة ، وهى تمثل جماع هذا المنهج الانسانى ، يقول تعالى : "قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"(١)، وهذا يمكن للانسان تحقيقه والبحث فيه واذا سلمنا بحدوثه على الوجه الذى بحث ، فما هو المانع من حدوثه مرة أخرى ؟ "... ثم الله ينشىء النشأة الأخرة"(١). وبالنسبة لمقاييسنا يكون من السهل اعادة التجربة. وتحثنا الآية الكريمة : "ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا"(٢)، على المنهج العلمى الصحيح(٣). الذى مفاده ألا يتبع الانسان الا ما يعلمه عن طريق حواسه السمع والبصر والفؤاد ، لان صاحبه مسئول عنه وماذا فعل به؟(٤).

كما أن القرآن يقر ويدعو الى نوع من الارتباط العلمى المطرد فى الكون(٥)، يقول تعالى : "ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد"(٦).

والقرآن يتعبد به عند المسلمين ، ولهم أجرهم على ذلك لا سيما عند تلاوته بتدبر وتمعن ، والمتأمل فى القرآن الكريم يجد :

---

(١) سورة العنكبوت ـ آية ٢٠ .
(٢) سورة الاسراء ـ آية ٣٦ .
(٣) د. محمد عبد الله الشرقاوى ، الاسلام والعلم التجريبى مجلة هذه سبيلى .
(٤) تفسير الجلالين لاية الاسراء السابقة ـ ط : المكتبة الشعبية .
(٥) د. محمد عبد الله الشرقاوى المصدر السابق .
(٦) سورة ق ـ آية ٩ .

أ ـ أسماء بعض السور القرآنية تعبر عن ظواهر طبيعية يستطيع الانسان ادراكها بحواسه مثل الرعد ، والطارق ،والبروج ، والفجر ، والضحى .... الخ ، وهذه يستطيع الانسان أن يعمل فيها فكره ومنهجه التجريبى ٠

ب ـ كثرة الآيات التى تعرض هذه الظواهر ، وتنوعها ، ووجودها فى كثير من السور القرآنية ، يقول تعالى : "ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"(١).

ج ـ يقسم الله سبحانه وتعالى بكثير من تلك الظواهر التى تبصرها مما يدلنا على عظمة خالقها وخلقها مثل الليل والنهار ، والسماء والرياح ... الخ ٠

وكذلك أقسم سبحانه بما لا يبصر مثل القسم بيوم القيامة والملائكة ، والقسم بذاته الكريمة ، لنعرف أنها حق كالذى نبصره تماما ، فاذا تحقق وتثبت الباحث فيما يبصره بحواسه وبتجاربه ، تبين له صدق ما جاء به القرآن الكريم على لسان الرسول الأمى صلى الله عليه وسلم ، حيث أن القرآن لم يرد فيه ما يدركه الانسان بحسه فقط ، بل هناك غيبيات وردت فيه ، وهذه لا يدركها الانسان بحواسه ،ولو كان من عند بشر لما تطرق للغيب مطلقا فالذى يفكر بطريقة صحيحة يقوده تفكيره الى الايمان لصدق المخبر فى كل من القضيتين ، ما نبصر ، ومالا نبصر ، فالقرآن الكريم يتخذ من النظر فى الآيات منهجا وطريقا لعرض قضايا الايمان والتدليل عليها والدعوة اليها(٢).

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٦٤ ٠

(٢) د٠ محمد عبد الله الشرقاوى "الاسلام والعلم التجريبى" مصدر سابق

د ـ أن القرآن صرح بما لا يدع مجالا للشك أن الكون بما فيه مسخر للانسان وأنه مستخلف فيه ، يقول تعالى : "وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"(١) . فهذا يحث الانسان على بذل الفكر والجهد ، للاستفادة مما سخره الله له "كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا"(٢).

هـ ـ ان الله لم يستجش المؤمن ليزداد ايمانا فقط ، ولكن خص الكافرين بالذكر ، يقول تعالى : "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون"(٣).

ثانيا : وهناك تأثيرات اسلامية أدت الى انتشار العلم منها :

أ ـ انمحاء الفوارق بين الناس ، ولم يعد العلم حكرا على أحد .

ب ـ الحرية والأمن الذى تمتع به العلماء فى ظل الدولة الاسلامية .

جـ ـ حب الخير للناس وعدم كتمان العلم أو احتكاره كما يفعل الغرب الآن .

د ـ مفهوم القضاء والقدر فى الاسلام ، حيث أن البحث والجهد المبذول فى الكشف عما أودعه الله فى هذا الكون ، والصبر على ذلك ، وطلب العون والتوفيق من الله، هو من قدر الله .

---

(١) سورة الجاثية ـ آية ١٣ .

(٢) سورة الاسراء ـ آية ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء ـ آية ٣ .

أهم العلوم التى انتشرت فى العصر الذهبى :

نتيجة الحركة العلمية الزاهرة والتى تبناها العلماء والأمراء ، وانكباب العلماء على استيراد الكتب من كل حدب وصوب ، تجمعت فى حاضرة الاسلام بغداد ودمشق والقاهرة ، عدة ثقافات مختلفة ، حيث امتزجت وظهرت ثقافة جديدة تحت توجيه الاسلام ، والقائمين على الأمور، حيث توفرت فيهم صفة العلم ، وهذا شرط مهم جدا فى ولى الأمر ، حيث يتولى مركزا حساسا فى قيادة الأمة حيث تولاها من هو أهل لها ، يقول تعالى : "وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يوت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزداه بسطة فى العلم والجسم ، والله يوتى ملكه من يشاء والله واسع عليم"(١). وقول يوسف عليه السلام "قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم"(٢)، فجعل الجسم الصحيح مع العلم والحفظ من شروط الامامة .

وفى عهد العلم تحت رعاية الاسلام برع المسلمون وغيرهم من العلماء فى علوم شتى ، فمن تلك العلوم علوم الفلك أو الهيئة .

وعلوم الفلك مهمة بالنسبة للمسلمين حيث اهتم العرب بالنجوم قبل الاسلام وجعلوها أعلاما هادية فى ظلمات البر ، وكذلك السيارة فى البحار ، وقد أبطل الاسلام التنجيم القائم على الخرافة والوهم والسحر ، وأقام مكان ذلك الرصد والتتبع لحركات النجوم والكواكب، وعلوم الفلك تعين المسلم على تحديد اتجاه القبلة ، ومواقيت الصلاة وتحديد شهر رمضان ،شهر ذى الحجة ، وتحديد أوائل الشهور العربية .

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٤٧ .
(٢) سورة يوسف ـ آية ٥٥ .

يقول تعالى : "... فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..."(١)، ويقول تعالى : "يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج"(٢).

ويعرفه ابن خلدون بأنه "هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة والمتميزة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات بطرق هندسية"(٣).

واخترع أبو اسحاق ابراهيم ابن حبيب (توفى ٧٧٧م) الاسطرلاب الذى كان يقيس به ارتفاعات النجوم عن الأفق ومقدار البعد عن خط الاستواء، وقد ترجمت كتب فلكية من الهند مثل كتاب السند هند ، وكتاب المجسطى لبطليموس من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ، وتقدم علم الفلك تقدما كبيرا لدرجة أن ملوك الفرنجة أرسلوا المشكلات عن الفلك لحلها فى ديار الاسلام "ان المامون كان أول من أشار باستعمال الآلات فى الرصد ، وقد ابتنى مرصدين على جبل قاسيون فى دمشق ، وفى الشماسية فى بغداد"(٤). ولم يكتف المسلمون بانشاء المراصد والتوسع فيها ، وانما صاغوا أسماء النجوم "الغول (Algol)والكور(ALKOR) والطير (Altalar) والذنب (Denab) ، وفم الحوت (Fumalhout)وغيرها"(٥). ومن أشهر علماء الفلك المسلمين أولا دموسى بن شاكر ، والخوارزمى الذى عمل على تصحيح جداول بطليموس ، وبنى اولاد موسى مرصدا لهم فى سامراء يحتوى على آلة ذات شكل دائرى تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات فى وسطها ، وتديرها

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٨٥ .
(٢) سورة البقرة ـ آية ١٨٩ .
(٣) المقدمة لابن خلدون ص : ٤١٤ ، ٤١٥ .
(٤) زيغريد هونكه (مستشرقة ألمانية) شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : ١٨١ ، منشورات المكتب التجارى .
(٥) المصدر السابق ص : ١١٨ .

قوة مائية ، وكان كلما غاب نجم فى قبة السماء اختفت صورته فى اللحظة ذاتها فى الآلة ، واذا ما ظهر نجم فى قبة السماء ظهرت صورته فى الخط الأفقى من الآلة "(١).

وممن برز من العلماء فى الفلك ثابت بن قره الذى جلبه محمد بن موسى بن شاكر ، وترجم له كتب من اليونانية ، وكذلك برز أيضا الفرغانى الذى حدد مسافات الكواكب وأحجامها وألف الفرغانى أيضا كتبا صغيرة فى الاسطرلاب"(٢).

واشتهر أيضا فى الفلك البتانى (المتوفى سنة ٩٢٩) ، ونصير الدين الطوسى ، والحسن بن الهيثم ، وابن يونس المصرى ، والزرقانى ، ولو وقفنا عند أعمالهم الجليلة لضاقت بنا هذه الصفحات القليلة(٣).

العلوم الرياضية :

ومن أهمها علم الحساب المعروف فى بعلم الأعداد ، ويعرفها ابن خلدون بأنها صناعة عملية فى حساب الأعداد بالضم والتفريق (٤). وقد تعرف العرب أيضا على الأرقام والأعداد الهندية من كتاب السندهند الكبير(٥) عندما ترجم الى العربية.

وقد انتشرت سلسلتان من هذه الأعداد الأرقام الهندية وهى المعروفة والمتداولة لدى معظم الدول الاسلامية والسلسلة الأخرى هى الأرقام الغبارية نسبة الى رش التراب والكتابة عليه ، وانتشرت هذه الطريقة

---

(١) زيغريد هونكه مستشرقة المانية شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : ١٢٢ ، منشورات المكتب التجارى .
(٢) العلم عند العرب لالدوميبيلى ص : ١٦٨ .
(٣) للاستزادة فى هذا المجال العلم عند العرب لقدرى حافظ طوقان ، شمس العرب تسطع على الغرب للكاتبة ريغريد هونكة .
العلم عند العرب للكاتب الايطالى الدوميبيلى .
(٤) المقدمة ص : ٤١ .
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب ،مصدر سابق ص : ٧٤ .

فى المغرب العربى وانتقلت بعد ذلك الى أوروبا ، واطلقت عليهـــا الأرقام العربية وهى كما يلـــى :

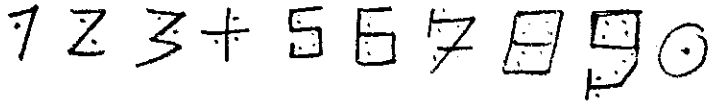

وهى مقسمة على حسب الزوايا ما عدا الصفر الذى رسم بدون زوايا على شكل دائرة فى وسطها نقطة ٠

وقد وردت الأرقام فى القرآن الكريم من واحد الى عشرة وهى جمـاع الأرقام ، واكبر الأعداد الذى ورد فى القرآن ما يزيد على مائة ألـف قال تعالى : "وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون"(١)٠

وبلغ من اهتمام الناس بها أن تداولوها فى الأمصار ، واعتبروهـا من أحسن ما يبتدوء به عند تعليم الأولاد ، والاهتمام بها يرجع الـــى استعمالها فى حساب المواريث ، واكمال عدة الشهور ، ومعرفة أيـــام الحج والأشهر الحرم ، وكذلك الى التعاون التجارى من بيع وشراء ورهن ودين ومقايضة ، ووصية ، وكذلك الخراج والفىء ، والغنيمة ، وتوزيـع الزكاة ، والصدقة ٠٠٠٠ الخ ٠

ومن أهم الاضافات على هذا العلم الصفر الذى أصبح العالم فـــى غير غنى عنه "ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تليفونـــات أو قائمة أسعار أو تقرير بورصة ، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علـوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات التى تسبق الصـوت أو صواريخ الفضاء ٠ لقد كرمنا هذا الشعب الذى من علينا بذلـــك الفضل الذى لا يقدر"(٢) ٠

---

(١) سورة الصافات ـ آية ٤٧ ٠

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص : ٦٨ ٠

ومن فروع علم الحساب "الجبر والمقابلة" الذى الف فيه الخوارزمى وحل كثيرا من المشاكل الرياضية المتعلقة به ٠

وعنه يقول ابن خلدون : "صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضى ذلك"(١) ٠

وقد برع فيه العلماء العرب كمحمد بن موسى الخوارزمى ، وسنان بن الفتح الحرانى ، ويعقوب بن محمد الرازى (أبو يوسف) والكرخى ، والكندى ٠

وبرع المسلمون كذلك فى علم الهندسة الذى هو "النظر فى المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم ، واما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية"(٢) ٠

وتنقسم الهندسة الى نوعين :

أ ـ هندسة مستوية كالمثلثات والدوائر ، والمربع ، والمعين ، والخطوط المتوازية والمتقاطعة وتستعمل لقياس المساحة ٠

ب ـ الهندسة الفراغية : كالكرة والمخروط ، ومتوازى المستطيلات وحساب مساحتها وأحجامها ، وتستعمل فى بناء الجسور والمساجد .... الخ ٠

ومن العلوم أيضا علم الطب :

وعلم الطب من العلوم التى اهتم الانسان بها منذ القدم لتعلقها بصحة البدن والأعضاء والأمراض التى تصيب الأعضاء وتفتك بها ٠ لذا اهتم الناس بها فى البادية وفى المدينة ، وأما الطب فى البادية فيكون تجربة شخصية تتوارث جيلا بعد جيل ، وتقدمت علوم الطب فى

---

(١) المقدمة ص : ٤١١ ٠

(٢) المصدر السابق ص : ٤١٣ ٠

الحضر عنه فى البدو ، وزادت تخصصا ، فكان فيهم الجرائحى العالم بالتشريح ، والكحال المتخصص فى علاج العيون ، وتخصصوا كذلك فى علاج الأسنان ٠

وأنشأت البيمارستانات لعلاج المرضى فى المدن وهى موءثثة بالآلات والأثاث والخدم ، ووجدت البيمارستانات المتخصصة فى أمراض الجذام والمجانين ، وهناك أيضا البيمارستانات المتنقلة والتى تستعمل على حسب الحاجة عند انتشار الأوبئة أو فى الحروب لمداواة الجرحى ٠

ولقد بلغ العرب المسلمون فى الطب مبلغا لم يصل اليه غيرهم فأين هو البلد الذى عرف فيه الطب بشموليته وعمقه وازدهاره كما كان الطب العربى ؟ وأين هى الدولة التى عرفت مثل هذا الجمع الكبير من الاخصائيين بشتى حقول الصحة وتركيب الأدوية والعقاقير كما كانت الحال عند هذا الشعب ؟ وهل كانت للمستشفيات الحديثة فى الاصقاع العربية آنذاك مثيل فى أى طرف من أطراف الأرض ؟ ان وسائل العلاج عندهم تتحدث ببلاغة عن عظمة أبحاثهم ، كما أن علم الصحة عندهم لأروع مثل يضرب ، ولم العجب والدهشة والوضع كان كما نعلم ؟ الم يطلب الفرنجة مساعدة العرب الطبية ويلحوا فى التماسها؟"(١)

واذا كان هذا الحال هو السائد فى العصر الذهبى الاسلامى من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى نالت فيه النساء شهرة فى الطب وفى تمريض الجرحى ونقلهم الى المدينة ٠

وماذا كان مقابل ذلك فى أوروبا ، لقد كانت الكنيسة وصية عليهم ولا تسمح لهم بأخذ الدواء الا بعد الاعتراف بالخطيئة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى "اعتبر التعاطى بعقاقير غير عقاقير الكنيسة أو ممارسة مهنة الطب واجراء العمليات الجراحية

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ـ مصدر سابق ص : ٤١٣ ٠

بالآلات عملا دون مركز الكنيسة ودون جلال الروح وقدسيتها" انه لمشين حقا أن يعمل الطبيب بيديه "(١)، والعلاج لا يعدو أن يكون رشه بالماء المقدس وصلاة واعترافا بالذنوب والخطايا ٠

وانقسمت علوم الطب الى نوعين :

أ ـ علوم الطب الخاصة بالانسان ٠

ب ـ علوم الطب الخاصة بالحيوان (البيطرى)

ومن أشهر الرواد فى هذا المجال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الذى بلغ شهرة عظيمة فى صناعة الطب ، وكان يطلق عليه جالينوس العرب وقد أشار على عضد الدولة ببناء المستشفى فى مكان صحى اختبره بنفسه عن طريق تعليق قطع من اللحم فى أنحاء مختلفة من بغداد ، واختار المكان الذى لا يفسد فيه اللحم بسرعة لبناء المستشفى ٠

واشهر كتب الرازى فى الطب كتاب الحاوى ، وكتاب المنصورى ، وكتاب الحصى فى الكلى والمثانة ٠

ومن الذين اشتهروا فى الطب أيضا ابن سينا ومن أشهر كتبه القانون فى الطب والأرجوزة فى الطب ٠

ومن الذين اشتهروا بالطب أيضا ابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدموية قبل وليم هارفى بكثير ٠

علم الكيمياء :

كان الأقدمون يعتقدون أن علم الكيمياء يحول المعادن الى ذهب ، وقد تخصص علم الكيمياء الحديث فى تحليل العناصر ومعرفة اعدادها وأوزانها الذرية ، ومدى اتحادها مع غيرها من العناصر لتكوين

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ـ مصدر سابق ص : ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

المركبات ، وتستعمل فى تحضير الأدوية معمليا ، وكان للعرب فضل كبير فى تطوير هذا العلم ٠

ويعتبر جابر بن حيان رائد هذا العلم الذى كان يؤمن بالتجربة العملية الى حد بعيد ، وقد حضر زيت الزاج (حمض الكبريتيك) وحامض النيتريك ماء النار ، والصودا الكاوية ، وهو أول من فصل الذهب عن الفضة بواسطة الحامض ، ولقد عرف جابر الكيميائى الاذابة والتقطير ٠

علم الضوء :

ويبرز ذكر العالم الحسن بن الهيثم فى مجال البصريات وعلم الضوء وانتشاره وانعكاسه ، وبين خطأ الآخرين الذين يقولون بأن الضوء يسقط من العين ليلمس المرئيات ، وبين أن الضوء انما يسقط من المرئيات وينعكس على العين ، التى تبصر صورة المرئى ٠

وأهم مؤلفاته كتابه المشهور المناظر الذى نقحه كمال الدين الفارسى ، واشتغل ابن الهيثم أيضا بمسائل تتصل بعلوم أخرى ، لم يكن مبرزا فيها ، ولكنه فى دائرة اختصاصه فى الرياضيات والعلوم الطبيعية كان مهندسا حاذقا ، وترك أثرا كبيرا فى النظريات الفلكية (١) ٠

هذه الصفحات المضيئة التى سطرها علماؤنا بأحرف من نور فى تاريخ التقدم البشرى فى كافة المجالات ، وما عرضناه يعتبر غيض من فيض ، وما هى الا نماذج فحسب ، وقد كتبت المجلدات فى علومهم وصنائعهم ومبتكراتهم وكانوا بحق سادة الدنيا ، والحق أن أول ظاهرة علمية أحيت فيهم هذه الروح هى نزول الوحى على قلب سيد الأنام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى من سبقوه من اخوانه الرسل، فلم ينبغ المسلمون وحدهم فى ظل راية الاسلام القائمة على

---

(١) العلم عند العرب لالدوميلى ص : ٢١٠ ٠

البرهان من الله تعالى ، بل ظهر كثير من العلماء من غير المسلمين من اليهود والنصارى وتوافد العلماء من كل حدب وصوب على حاضرة الخلافة لما رأوه من تشجيع للعلماء واكرام لهم ، ومنحهم الهبات والمنح ، ولا عجب فى ذلك فان الدين الذى آمنوا به يرفع قيمة العلماء الى مستوى لا يناظره أى دين آخر ، يقول الله تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"(١). ويقول تعالى أيضا : "نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم"(٢).

وما تأخر المسلمون فى الوقت الحاضر الا لترك ما أمرنا به من عند ربنا ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ٠

والملاحظ على علماء ذلك العصر عدم التخصيص فى علم من العلوم فنجدهم علماء فى الفلك والحساب والطب والزراعة ، وهذه من السمات الفريدة التى افتقدناها فى علماء عصرنا ، حيث حصر كل عالم نفسه فيما تخصص به وتوسع فى ذلك ، ولعل السبب يكمن فى زيادة العلوم زيادة كبيرة فلا يستطيع العالم أن يلم بكافة العلوم العصرية ٠

وفى أوروبا نجد سيطرة الكنيسة بقبضة من حديد على العلم والعلماء فالعلم ما أجازته الكنيسة فحسب ، واذا ما تعدى العلماء ذلك ، فيعتبرون مارقين يجب محاربتهم ومحاكمتهم وحرقهم فى النار ٠ ومن الطرائف ما "يقال ان بعض رجال الكنيسة رفضوا أن ينظروا من خلال منظار جاليليو ، وأن آخرين نظروا من خلاله ، وقالوا ان الأجسام التى شاهدوها هى من صنع المنظار نفسه"(٣).

---

(١) سورة المجادلة ـ آية ١١ ٠
(٢) سورة يوسف ـ آية ٧٦ ٠
(٣) ايرلس نورتون لانام الكوكب الدرى ص : ٢٥ ، ترجمة محمد حسان٠

ولقد أيد جاليليو كوبر نيكوس – الذى نقل عن علماء المسلمين – فى موءلف صدر عام ١٦٣٠م موءلفه الرئيسى وعنوانه "حوار حول النظامين الرئيسين فى العالم" ، ولهذا اصدرت الكنيسة عدم شرعية جاليليو ونظرياته ومحاضراته – بل وربما منظاره كذلك – وكاد أن يواجد حكما بالاعدام (١).

وقد تأثرت أوروبا فى المجال الاجتماعى وعلى الأخص فى علاقاتها الأسرية ، وفى الأخلاق نتيجة احتكاكهم بالعرب المسلمين فى الحروب الصليبية كالفروسية والنجدة ، ومساعدة الضعيف عندما رجعوا الى بلادهم ٠

وفى المجال الدينى حيث كان التأثر كبيرا ، فحاولت الكنيسة التوفيق بين عقيدة النصارى وعمادها التثليث ، وعقيدة التوحيد عند المسلمين فقالت ثلاثة فى واحد ، وقد أنكر البعض لا سيما الذين احتكوا بالمسلمين فى الحروب الصليبية وفى الأندلس محاكم التفتيش وصكوك الغفران ، وقصر تفسير الكتاب المقدس (الانجيل) على القساوسة ، وظهر هذا جليا فى حركة مارتن لوثر (البروتستانت) وهى فى جلها متأثرة بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف والحضارة الاسلامية القائمة عليه ٠

لذلك لا صحة للدعوى التى تقوم على أسبقية الحضارة الغربية فى انتهاجها للمنهج التجريبى القائم على الحس والمشاهدة ، وكما بينا فان هذا المنهج قد جاء فى القرآن الكريم ، وطبقه المسلمون فى عهد الازدهار العلمى ، وما الحضارة الغربية الا وريثة العلوم التى نمت وترعرعت تحت ظل الاسلام ٠

---

(١) ايرلس نورتون لانام الكوكب الدرى ص : ٢٥

المبحث الثانـــى

الضوابط الاسلامية للعلوم التجريبية

اشتغل الانسان بالعلوم التجريبية وتوسع فيها أيما توسع بغـــرض رفع الأعباء التى يعانى منها ، والتى كانت تثقل كاهله، أو تلك التـى تفتك به ، وتوفير وقته وجهده ، وتحقيق رفاهيته ، والاطمئنان علـــى مستقبله عن طريق تأمين مصادر قوته ٠

وباختصار شديد العلوم التجريبية خادمة للانسان معينة له حافظة لدينه ونفسه وعقله وعرضه وذريته وماله ، وهى من ضروريات الحيـاة ٠ ولشدة حاجة الانسان لها ، واستعمالها فى كافة مجالات الحياة ، نجده قد رفعها الى درجة ، لتكون حاكمة على أمور دينه ودنياه ، فلا يؤمن الا بما توئيده أو تحققه التجربة ، وانكر ما وراء ذلك ، بل حكـــم بعدم وجوده ، وقد دخلت العلوم التجريبية مجال العلوم الانسانية ٠

فما هو موقف الاسلام من تلك الضروريات ؟

وما هو موقف العلم التجريبى منهـــا ؟

أولا الدين :

الدين الذى يوضح للانسان الحكمة من خلقه ذو شقيـــن :

أ ـ العقيدة : وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخر والقدر خيره وشره ٠

ب ـ الاســلام : وهو شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول اللـــه ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحـــج البيت ٠

فالانسان المؤمن بالله قريب من الله بعيد عن الشيطان ، كـــل أعماله الدنيوية يتقرب بها الى الله "قل ان صلاتى ونسكى ومحيـــاي

ومماتى لله رب العالمين"(١).

وبالنسبة لدول غرب أوروبا وأمريكا ـ باعتبارها فى مقدمة الدول التى تأخذ بالعلوم التجريبية فى كافة مناحى حياتها ـ تختلف نظرتها الى الدين عن نظرة دول العالم الاسلامى له ، فتغلغل العلمانية فى أوروبا منذ القدم ، كان له أثر كبير على الدين فيها ، فقد تلقت أوروبا المسيحية عقيدة ، ولم تأخذه شريعة ـ الا فى نطاق ضيق من الأحوال الشخصية ـ ، حيث كان القانون الرومانى هو التشريع المطبق فبعد الحرب بين الكنيسة والعلماء ، والتى انتهت كما هو معروف بانتصار العلماء ، فقد قدم العلمانيون الدين بصورة مشوهة للغاية زيادة على ما فيه من تحريف بيّن وعقيدة باطلة .

والناظر الى الدين الكنسى ، لا يرى فيه سوى مواعظ ، وحث على الحب والرحمة والتسامح ، واهمال الجانب المادى والأسرى والأخروى من حياة الناس ، أى أنه يميت الرغبة الانسانية فى عمران الأرض وتحقيق استخلاف الانسان على الأرض ، بالاضافة الى أن الانجيل أصبح منذ زمن طويل لا روح فيه ، وأن المسيحيين ، وفى مقدمتهم رجال الكنيسة أنفسهم كانوا أول من أهمل تعاليمه (٢).

ولم تستغل الكنيسة الهيمنة التى كانت تتمتع بها على النفوس ، والتحكم فى السلطة الزمنية فى فرض تشريع نابع من الدين ، أو تتلمسه فى غير دينها ، وانما اهتمت بتخليص المسيحيين من الخطيئة المتوارثة وكفتهم مؤنه تطهير ذنوبهم بأنفسهم ، وجعلت لهم فداءا دم المسيح المصلوب زورا وبهتانا .

---

(١) سورة الأعراف ـ آية ١٦٢ .
(٢) د. أحمد شلبى "مقارنة الأديان المسيحية" ص : ٢٦٦ ، ط : ٧ .

ولكون الانسان مفطورا على العبودية التى تجرى فيه مجرى الدم فى العروق ، وحيث أن الدين قد نبذ ، واختارت الها آخر يعبد من دون الله ، مع أن دين الكنيسة لا يمانع فى ذلك ، فقد استبدلوا عقيدة التوحيد بعقيدة التثليث ، فما المانع من اضافة اله جديد ؟ أو احلال اله مكان اله .

وكانت العلمانية واضحة فى أوروبا منذ القدم حيث ورثت تلك الحضارتين ولذلك نجد أن البلاء الأكبر فى حضارة اليونان والرومان قديما وفى حضارة الغرب الحديثة هو فى سيطرة المادية فى غاياتها وأهدافها ، ومن هنا نشأ الفساد والحروب والخصومات ، ان الرجل العادى فى أوروبا ديموقراطيا كان أن فاشيا رأسماليا أم اشتراكيا عاملا أو مفكرا ، انما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة الا أن يجعلها الانسان حرة طليقة من قيود الطبيعة ، أما كنائس هذا الدين فهى المصانع الضخمة ، ودور السينما ومختبرات الكيمياء ، ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء ، وأما كهنتها فهم روءساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون ، ونتيجة هذا الفهم للقوة ، والشره للذة ، النتيجة اللازمة ، ظهور طوائف متنافرة مدججة بالسلاح والاستعدادات الحربية ، مستعدة لابادة بعضها اذا تصادمت أهواءها ومصالحها ، أما فى جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز فى الانسان ، يعتقد الفضيلة فى الفائدة العملية ، والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر ، هو النجاح المادى لا غير ، وليس فى هذه الحضارة ، ولا فى نظامها الفكرى ، موقع لله فى الحقيقة ولا تعرف له فائدة ، ولا تشعر بحاجة اليه (١) .

---

(١) محمد اسد الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص : ٤٣ ، ط : دار الارشاد .

هذا من ناحية الدين كعقيدة ، أما نظرة علماء العلوم المادية الى الدين كشريعة فتعتبره انعكاسا لاحوال تعيش فيها البشرية ، وما الدين عندهم الا أفيون لتخدير الشعوب ونظرة المؤمن للشريعة عبادة تقربه لله تعالى سواء عرف علة الحكم أم لم يعرف تلك العلة .

ويرى البعض أن حركات الصلاة ما هى الا حركات رياضية ، وأن تلك الحركات تشمل الجسم كله ، وهى منتظمة كالانتظام فى الرياضة البدنية الفردية أو الجماعية ، ولو نظرت الى المصلين فى صلاة الجمعة أو الجماعة وهم يركعون معا ، ويسجدون معا ، ثم يقفون ، لحسبتهم يؤدون حركات جسمانية للرياضة كتلك التى يؤديها الشباب فى الساحات الرياضية(١) . والصلاة المشروعة بأقوالها وحركاتها تعبدية ، فالصلاة قرة عين للمصلى ، وراحة نفسية عظيمة ، وحلاوة لا يذوقها الا من خشع فيها مناجيا ربه ، وحركاتها تذلل وخضوع وخشوع ويزداد العبد قربا من ربه وهو ساجد ، ولو كانت حركات رياضية لاستعضنا عنها بأنواع أخرى من الرياضة أنفع وأجدى فى تقوية الجسم .

والزكاة يصفونها كذلك بأنها رياضة نفسية ، وهى ليست كذلك فقد سماها الذى فرضها زكاة ، لتزكى النفس وقربة لله تعالى يتعبد بها المسلم ، يقول تعالى : "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .."(٢).

والصيام يطلقون عليه رياضة لترويض النفس كاليوجا مثلا أو ريجيم لتخسيس الوزن ..... الخ .

وأن الحج مؤتمر يجتمع الناس فيه من كل بقاع الأرض ، وهو ليس كذلك فالمؤتمر يعبر عن آراء المؤتمرين ، والحج فريضة من الله لمن استطاع اليه سبيلا ، ونحن لا ننفى أن الشعائر التعبدية ، فيها

---

(١) د. أحمد شلبى "مقارنة الأديان الاسلام" ص : ١٤٥، ١٤٦، مكتبة النهضة .
(٢) سورة التوبة ـ آية ١٠٣ .

منافع مادية ، ولكن ننفى أن تكون هى الحكمة من التشريع .

ثانيا : النفس :

الانسان مكون من روح وجسم مادى تحل فيه الروح ، والروح لا تعرف كنهها ولا طبيعتها سوى أنها من أمر الله ، وهى نفخة ربانية جعلت الطين الذى يتكون منه جسم الانسان بشرا سويا ، فهى تتعلق به فى الحياة الدنيا تعلقا خاصا ، ويكون التعلق أكمل ما يكون فى اليوم الآخر . ويحصل نتيجة تعلق الروح بالجسد الترابى النفس الانسانية . وهى مفطورة على عبادة الله ويمكن تغيير هذه الفطرة من عبادة الله لعبادة غير الله .

فمطلب الروح عبادة الله ، ومطلب النفس الخلود فى الدنيا والتمتع بها وعمارتها .

وقد اختلف فى وقوع عذاب القبر على الروح أو الجسد ، أو عليهما معا . يقول تعالى : "... ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون"(١).

ومطالب النفس يمكن حصرها فى :

أ ـ مطالب لحفظ الجسم : من مأكل ومشرب وسكن ورفاهية .

ب ـ مطالب لحفظ النوع : وتتم عن طريق التناكح بين الرجال والنساء.

وقد كرم الله بنى آدم ورزقهم الطيبات وانزل على الرسل الرسالات التى تهدى البشر الى ما يصلحهم فى الحال والمآل ، فأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث .

وحفظ الله النفس من الاعتداء عليها ، فمن أزهق نفسا بشرية يقتص منه بازهاق نفسه . يقول تعالى : "وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس

---

(١) سورة الأنعام ـ آية ٩٣ .

والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون "(١).

ولحفظ الجسم فقد أحل لنا كل شيء ناكله ونشربه باستثناء أشياء محددة رحمة بنا وتفضلا منه سبحانه وتعالى علينا ، ونقطع بضررها على الانسان .

ولحفظ النوع فقد أحلت لنا النساء مع بعض الاستثناءات(٢).

وموقف الغرب الذى يأخذ بالعلوم التجريبية :

بالنسبة لما يحفظ الجسم فقد أباح كل شيء بدون استثناء أو ضوابط ، وبالنسبة لحفظ النوع فهو فى طريقه لاباحة جميع النساء ، وبالغ فى ذلك حتى أنه قرر اباحة زواج الرجل من الرجل .

لقد بالغ الغرب فى الحرية الشخصية ، وجعل كل شيء مباحا له ، حيث ترك الانسان رهن شهوته وغفلته وشيطانه ، فأصبح شيطانا مريدا ، يبحث عن اللذة ويعتبرها السعادة ، وجعل الحرية انحلالا من الأخلاق والقيود ، وتفلت من القيم والتقاليد .

وبالغ الشرق الشيوعى فى امتهان الشخص ، فجعله عبدا للحزب ، وترسا فى آلة الاقتصاد بلا احساس ولا شعور .

وعندما يعرف فلاسفة الغرب الانسان يقولون انه حيوان ناطق ، وقد أيدوا دعواهم زورا بالعلم ، والعلم منهم برىء ، فقالوا عنه أنه قد تطور من القردة بلا قصد من خلقه ولا غاية ، وقد سلبت من

---

(١) سورة المائدة ـ آية ٤٥ .

(٢) أ ـ المحرمات من النساء كالأم والأخت والابنة ..الخ.
سورة النساء ـ آية ٢٢ ، ٢٣ .
ب ـ تحريم وطء الحائض والنفساء ، فيما أحله الله لنا .

الانسان انسانيته وكرامته .

وقد انتشرت فى الشرق الأقصى فلسفات روحية كالبوذية ، التى تحرم على الجسد ما أحله الله له ، لذا فهى تبالغ فى الزهد ، والتقشف وتعذيب الجسد بالقائه على الأشواك تحت حرارة الشمس العالية ، والاقلال من الأكل والشرب ما أمكنه ذلك ليطهر روحه والا تناسخت روحه بالحلول فى جسد حيوان أو طير أو انسان حتى يتطهر تماما ويكون أهلا للانطلاق والفناء فى براهما ، وتعتبر هذه الفلسفات أن الألم سببه الشهوة والرغبة والأنانية .

ثالثا : العقل وموقف كل من الدين والغرب منه :

العقل : هو فعل القلب ، كما أن الأبصار فعل العين ، والسمع فعل الأذن(١). ولقد حافظ الاسلام على العقل وصانه ، وجعله المميز للانسان عن غيره ممن يعيش على الأرض ، فقد حرم كل ما يذهب العقل من المسكرات كالخمر وسكر الهوى والفناء فى الصوفية ، وبالعقل يتفكر الانسان فى خلق السماوات والأرض ويميز الضار من النافع ، والطيب من الخبيث ، وجاء البرهان من الله جل ذكره على يد الرسل عليهم الصلاة والسلام لاخراج الانسان من الظلمات الى النور ، ومن عبادة ما دون الله على عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد يكون العقل مصدر هداية وقد يكون أيضا مصدر غواية .

بالرغم من الثقة التى يوليها الغرب للعقل الانسانى ، ويحكمونه فى كل أمورهم الا أنهم لا يطيبون عيشهم الا بما يزيل عقولهم ، فالخمر عندهم كماء السماء ، ويتفننون فى تنويعه وفى درجات اسكاره ولا حول ولا قوة الا بالله .

---

(١) يراجع فى هذا الشأن تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى .

رابعا: العرض وموقف الدين والغرب منه :

صان الاسلام أعراض الناس وحرّم الخوض فيها ورتب على ذلك العقوبات كالجلد فى حالة الرمى بالزنا ، والحبس فى امتهان كرامة الانسان ٠ وصان الاسلام محارم الشخص من اعتداء الغير ، وجعل كل ذلك حراما ٠

وبالنسبة للغرب فقد رمى الانسانية فى أعز ما تملك وردها الى الحيوانية التى لا عرض لها ولا كرامة ، فأى امتهان أكثر من هذا ٠

خامسا: الذرية

لقد صان الاسلام الذرية من الاختلاط وحافظ عليها حتى ينسب كل مولود لأبيه ، وحرم السبل التى تؤدى الى الاختلاط ، واعتبر الزنا جريمة عقوبتها الموت للمحصن ، والجلد لغير المحصن ٠

ومن الدول الغربية التى تدعى أنها تأخذ بالعلم والتجربة، فالانحلال هو السمة الغالبة ، وقد سنت القوانين التى تحمى من يأتى بهذه الجريمة ، وتعتبر المعترض على من يقترف الفاحشة اعتداء على حرية الآخرين ، لذلك نجد أن القوانين الوضعية لا تبيح الزواج دون الثامنة عشرة ، ولكنها تبيح الزنا وفعل قوم لوط ، لأن هذا من الحرية الشخصية ٠ كما يسمح باتخاذ الخليلات ويمنع تعدد الزوجات ، والعلم التجريبى قد أثبت أن سبب انتشار كثير من الأمراض سببه هذا الانحلال والاباحية المنتشرة ٠

سادسا : المال

المال عصب الحياة الاقتصادية ، وبه تدور المعاملات بين الأفراد والدول ، ومن أجل تنظيمه قامت الفلسفات والمذاهب الاقتصادية المختلفة من رأسمالى أو اشتراكى أو غيره ٠

والاسلام لم يتدخل لفرض نظام معين للاقتصاد يسير عليه ، وانما ترك هذه الأمور لاجتهاد الناس ، وما يصلح حالهم ، وتلمس معايشهم ، وكسب قوتهم .

وقد حرم الاسلام التعامل بالربا ، لأنه يجعل رأس المال غير منتج وحرم الغش فى المعاملات ، وحرم الاحتكار والاستغلال والتطفيف فى الكيل والميزان ، واعتبر ذلك طرقا غير مشروعة فى الكسب .

ويعتبر الاسلام الاعتداء على الأموال جريمة عقوبتها قطع اليد ، وذلك حفاظا على أموال الناس .

ويشجع الاسلام على استثمار رأس المال وعدم اكتنازه ، ويعتبر المسلم مستخلف فى هذا المال يجب أن يكتسبه بطريقة مشروعة وينفقه فيما أحله الله من مرافق حيوية فى ديار الاسلام ، فالمسلم مؤتمن على هذا المال فى هذه الدنيا "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين"(١)

وفى الجانب الآخر فقد أباح الغرب الربا والاستغلال والاحتكار ، وتفشت جريمة السرقة ، والغش والتطفيف .

وقد أقام الغرب اقتصاده على استعمار الشعوب الضعيفة ، بأخذ المواد الخام اللازمة لصناعته بأبخس الأثمان ، وبيع منتجاته الصناعية بأعلى الأسعار .

وفى سبيل تنمية رأس المال ترى الاقتصاد يقوم على استغلال الفرد وتقليل أجره بقدر الامكان . وكل ذلك لم تجزه الشريعة الاسلامية ، والذى أقرته هو أن يعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه .

---

(١) سورة القصص - آية ٧٧ .

مما سبق يتبين لنا أن الشريعة الاسلامية حافظت على ضروريات الحياة دون افراط أو تفريط ، وأعطت الرغبات البشرية حقها بشكل دقيق ومتوازن ، لأن الانسان مجموعة من الرغبات المتضاربة التي لا يمكن تحقيقها كلها فى آن واحد (١)، وقد تقوى هذه الرغبة أو تضعف ، فيتأرجح الفكر تبعا لذلك ، واذا لم تكن هناك ضوابط دقيقة تعط كل رغبة حقها بحيث لا تطغى واحدة على أخرى فينفرط العقد ويتحكم الهوى .

والانسان بعلمه القليل لا يستطيع أن يضع الموازين الدقيقة لضبط رغبات النفس بشكل تام وكامل . وشاهدنا ما يجرى على الساحة في كل من الشرق والغرب ، الذى اعتمد على العلم البشرى .

أما الدين الاسلامى فهو تنزيل من لدن حكيم خبير أحاط علما بكل حفايا النفس ورغباتها ومتطلباتها "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"(٢). لذا فانه الضابط الوحيد ، والمنظم الصحيح للحياة الانسانية ، لأنه عام لكل البشر ، وشامل لكل متطلبات النفس .

وعندما اعتمد البشر على أنفسهم وعلومهم ، فقد أسرفوا على أنفسهم فى بعض الأمور ، فلم يجعلوا لها ضابطا يضبطها ، ولا نظما تنظمها .

فالحرية الشخصية امتدت لكى تكون اعتداء على حريات الآخرين فمثلا الحرية الجنسية اذا كانت بالتراضى بين الطرفين لا حرمة فيها ولا غبار عليها . ولكن ماذا يكون الحال ان تم ذلك بالاكراه؟ وهذا متحقق الحصول فماذا تكون النتيجة ؟

---

(١) الشيخ محمد قطب "الانسان بين المادية والاسلام" ص: ١١٤، ط: دار الشروق .

(٢) سورة الملك ـ آية ١٤ .

فحينئذ تفقد الحرية مفهومها ، ويتعين أن يكون لها ضابطا منظما . وكذلك الفرد الذى بالغت الرأسمالية فى الاعتراف باستقلاليته ، وبالغت الشيوعية فى منح المجتمع القدسية الكاملة على حساب استقلالية الفرد لتحقيق مصلحة الجماعة ، والتى يكون الفرد احدى لبناتها فالمبالغة فى ابراز رغبة معينة على حساب رغبة أخرى ينتهى به المطاف الى أن يجعل اشباع الرغبة غاية فمثلا الغرض من التقاء الذكر بالأنثى هو حفظ النوع ، واذا ما بولغ فى لذة الالتقاء تصبح الغاية هى طلب اللذة . ويضعف الهدف الأصلى المنشود وهو حفظ النوع ، وهذا لا يعنى انه قد قضى عليه ولكنه قد تأخر ترتيبه فى سلم الأولويات .

فالطابع الغربى هو الافراط والتفريط ، لاعتمادهم على العقل فى التنظيم والضبط ، فجنحوا تارة الى أقصى اليمين ، وأخرى الى أقصى اليسار .

أما اذا كان الطابع الدينى الصحيح غير المحرف هو الضابط والمنظم فالأمر يختلف تماما فلا افراط ولا تفريط ، ولا اسراف ولا تقتير فقد جعل الدين ضوابط داخلية فى الفرد ، وضوابط عامة فى المجتمع وفى الدولة . فالموءمن يعلم علم اليقين أن الله يراه بالليل والنهار ولا تخفى عليه خافية ، وكذلك التربية التى يتلقاها منذ صغره على يد أبويه لها أثر فعال فى ضبط سلوكه وتنظيمه وتقويمه . وأخيرا تأتى السلطة السياسية كمشرف عام ، فان تفلت من كل هذه الضوابط كلها مثلا فانه على يقين أنه لن يفلت فى اليوم الآخر .

فالمنفعة فى الاسلام هى ما تشبع للموءمن رغباته بعيدا عن غضب الله وسخطه ومعصيته .

فالضابط الداخلى : أهم الضوابط التى تحكم حركة المسلم على الاطلاق ويكون نابعا من ايمانه بالله تعالى ، وان زاغ الموءمن فى لحظة ضعف ، نتيجة الغفلة أو الغضب أو الشهوة ، فانه يرجع تائبا نادما على ما بدر منه عازما على ألا يعود مرة أخرى .

وهناك أيضا الضابط الأخلاقى الذى يسود المجتمع الاسلامى المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث"(١).

فالمخالف للأخلاق الاسلامية من المسلمين يعتبر شاذا سرعان ما يعود تحت ضغط العقل الجمعى المستمد من الاسلام ، لذلك نرى أن أخلاق المسلمين متشابهة فى كل الأمصار ، وهذا الضابط أكثر شيوعا عند كافة المسلمين ، لأن أصوله من معين الكتاب والسنة وما يستمد منهما .

الضابط السياسى : ويكون فى يد الخليفة المختار بواسطة أهل الحل والعقد لتطبيق شريعة الله فى الأرض ، وتعاونه فى ذلك ولاية المظالم والحسبة والشرطة ... الخ ، وذلك للأخذ على يدى المخالف والمتعد لحدود الله ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يستقيم أمر الأمة .

وهناك أيضا الضابط الفكرى : الذى يستمد أصوله من الكتاب والسنة والذى هو خلاصة تجارب الانسان ، فلا يشذ يمنه ولا يسره ، وانما مضبوط بهذين الأصلين ، وفى الوقت الذى ضعف فيه الايمان ترى الفكر قد جنح نحو اليمين واليسار .

من ذلك يتبين لنا أن الضوابط الدينية أقوى وأثبت من الضوابط التى تعتمد على العقل البشرى ، والتى تختلف من شخص لآخر ومن بلد الى بلد ، فهى ناقصة لعدم احاطة وكمال العلم البشرى "وما أوتيتم من العلم الا قليلا"(٢)

---

(١) سورة الضحى - آية ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٢) سورة الاسراء - آية ٣٥ .

لذا فان المنفعة واللذة وتحقيق الربح هى التى تتحكم فى أخلاق الغرب ، ففى سبيل تحقيقها يهون كل شىء والغاية تسوغ الوسيلة ، ففى سبيل مصلحته يسلب خيرات من هم أقل قوة منه من دول العالم المتخلف واستعمار بلادهم واستعمال القوة ضدهم ، بل وغزوهم فكريا حتى يكونوا أداة طيعة فى أيديهم ، ولكى يضمنوا ولائهم ، وفى هذا يقول لويس فيشر "بعض الناس يقض مضاجعهم ما يقترفه العالم الرأسمالى من جرائم وآثام ، فيظلون عميا لا يرون جرائم البلشفية وافلاسها وكثير منهم يستغلون نقائض العالم الغربى ليصرفوا الانتباة عن فظائع موسكو البشعة ... أما أنا فأقول لعن الله كليهما"(١)

وفى سبيل تحقيق اللذة انتهكت الحرمات وافترس السفهاء ذلك فغلبوا الناس على اعراضهم وأموالهم ، وما الملايين التى تنفق على اقامة السجون والاصلاحيات والأبحاث الا نتيجة الانحلال الذى ساد الغرب ٠

فالمعيار فى الغرب مادى والمشرع عقل بشرى ، والنتيجة ويلات هنا ومذابح هناك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

وعلى الرغم من التقدم الكبير فى مجال العلوم الطبيعية ، الا أن هناك تخلفا كبيرا فى القيم والأخلاق ، وما ذلك الى نتيجة اتجاه الانسان الى الجانب المادى فقط ، ولم يعط للجانب الروحى الاهتمام اللائق به والمؤدى الى الله سبحانه وتعالى ، وبالرغم من أن هذه العلوم قد "رسمت لتحقيق خير الانسان الا أنها تلائم فقط صورة غير كاملة"(٢)، وقد زاد اهتمام الانسان بهذه العلوم حتى أنه لا يثق الا فيما تؤيده هذه العلوم مع أنها "علوم تخمينية افتراضية"(٣).

---

(١) الشيخ محمد قطب "مذاهب فكرية معاصرة" ص : ٤٧٠، ط :دار الشروق ٠
(٢) الكسيس كاريل "الانسان ذلك المجهول" ص : ٣٧ ٠
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

ولم يتلمس الغرب حلولا للجانب غير المادى فى الانسان فى الدين الصحيح الذى كان هو السبب فى نهضته وأعنى بذلك الدين الاسلامى ، فحساسيته الشديدة ضد الدين الكنسى دفعته الى أن ينبذ جميع الأديان على السواء ، وظن أنه سيعوض ذلك فى العلم المادى القائم على الحس والتجربة ٠

والمصيبة الأدهى والأمر أنه ظهر فيمن ينتمى الى هذا الدين ، من يأخذ بأسلوب الغرب ، وقد بهره تقدمه الكبير فى علوم المادة يقول أحد الغربيين(١) وهو يعمل أستاذا لعلم النفس ، وهو أعلم بحال قومه : "انصحوا المبهورين بحضارة الغرب أن يعيدوا النظر فيها ، احذروا يا عرب يا مسلمون أن تخلطوا تصوراتكم بالتصورات الأوروبية ، أنتم أهل حضارة عريقة ، وهى وان كانت لم تصل من الناحية المادية الى مستوى الغرب ، الا أن لها مقومات لا تملكها حضارة بلداننا الأوروبية ، ان الانسان حاول أن يؤله نفسه بواسطة العلم ، والعلم أحقر وأقل مما كان يعتقد ، فلا تتخلوا عن نزعاتكم المكتسبة من تصوراتكم الاسلامية ، ولا تتطلعوا الى الحضارة الغربية تطلع الممجد لها ، المعظم لشأنها انها ستبلى"(٢) . ويكفينا هذا الشاهد من أهلها على ضلال ما هم فيه وعدم الثقة فى فلسفتهم ، وقد تخلفوا تخلفا مخزيا فى غيره ، ونحن نسعى جاهدين للأخذ عنهم وتقليدهم !!

---

(١) دكتور دون لويس أستاذ علم النفس فى كلية الطب بفرناطة ٠
(٢) مقالة بعنوان الحضارة الاسلامية بين التحدى والتعطيل لمحمد على ضناوى ، مجلد (١) من كتاب الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ص : ٥٨١ ، ٥٨٢ ٠

الفصـــل الثانـــــي

ويتكون من ثلاثة مباحـــث :

المبحث الأول : نماذج من الاعجاز العلمى فى القرآن ٠

المبحث الثانى : العلم التجريبى والايمان بالغيب ٠

المبحث الثالث : الرد على موجة الالحاد والعلمانية ٠

المبحث الأول

نماذج من الاعجاز العلمي في القـــرآن

ان كتاب الله المقروء والموجود بين دفتي المصحف ، والذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمانة عن ربه الى الناس كافة ، ملـــيء بالمعجزات ، فاذا ما تجرد الانسان من هواه ومن قيود الشيطـــــان والعادات طالبا الحق ليتبعه ويتمسك به ، فانه يجزم بأن هذا القـرآن من عند خالق السماوات والأرض وما فيهن ، ولا عجب في ذلك ، فالقائـــل هو الفاطر ، ولا يتناقض القول مع الفطرة التي فطر عليها الكون ٠

وفي هذا المبحث الصغير سنتعرف على نماذج من الاعجاز القرآنـــي فقط ، ولن يستطيع بشر أن يلم بأوجه الاعجاز في القرآن الكريـــم ، لأن علوم الانسان لا تعدو أن تكون بعض قطيرات من علم الله المحيـــط ، "ولو أنما في الأرض مـن شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحـــر ما نفذت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم" (١).

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

سبق وأن ذكرنا أن العصر الحالي عصر العلوم التطبيقية، وهو عصر الفضاء حيث وصل العلم في هذا المجال مرحلة عظيمة في التقـــدم ، والأمر المدهش حقا افتتان الناس به حتى أن غير المؤمنين قد صيروه الها يعبد في الأرض ، ولا يؤمنون الا بما يثبته العلم ، وما لا يؤيده العلم ، فقد انكروه وحكموا بعدم وجوده ، وحيث أن الله والملائكـــة والجن واليوم الآخر ، والجنة والنار ، لا يمكن اجراء التجارب عليهـا فهي غير موجودة ، وادعوا في ذلك أن هذه الطريقة هي "العلمية" ولعمر الله أن هذا افلاس ما بعده افلاس والا فما حكمنا على علماء الأمـــس

---

(١) سورة لقمان ـ آية ٢٧ ٠

وقد تقدمنا عنهم بأطوار عديدة ؟ وماذا سيقول عنا علماء الغد بعد أن يتقدموا علينا بمراحل واسعة ؟ وفوق كل ذى علم عليم[1] ، وما أوتينا من العلم الا قليلا ٠

الذرة :

لقد تصور الملحدون ان العالم يتكون من ذرات صغيرة متناهية فى الصغر وما هذه المخلوقات الا تجمع لهذه الذرات التى لا تتجزأ ، وانطلت الفكرة حتى على بعض علماء المسلمين ، وقد أقيمت المذاهب والتفسيرات على هذه الذرة الخيالية الى أن جاء العلم وقد أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا التصور خاطىء ، وقد وضعت نظريات ونظريات فى تصور الذرة ومكوناتها من نواة مكونة من أجزاء منها النيوترونات والبروتونات البوزوبيترونات ٠٠٠٠٠ الخ وحول هذه الذرة سحابة من الالكترونات تدور فى أفلاك حول النواة وأقرب تشبيه لها هى المجموعة الشمسية وهى تدور حول الشمس ، وأن هناك فراغا كبيرا يفصل بين النواة والكهارب السالبة (الالكترون) وليس كما تصورها طومسون الانجليزى من أنها مثل حبة البرتقال والالكترونات مبعثرة بداخلها كبذور البرتقال فى البرتقالة ٠

يقول الله فى القرآن/أنزل على محمد منذ خمسة عشر قرنا من الزمان عن الذرة "وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين"[2]. فأخبرنا الله تعالى على أن هناك أشياء أصغر من الذرة ، وليست الذرة هى الوحدة الأولى للمادة ، وقرر أنها تتركب من أجزاء ، ونفى ما كان يعتقد الأولون من أنها لا تتجزأ ٠

---

(١) سورة يوسف ـ آية ٨٦ ٠
(٢) سورة سبأ ـ آية ٣ ٠

خلق الانسان :

كانت بداية خلق الانسان من طين ، والطين من الأرض ، وقد أمر الله الملائكة أن تجمع الطين من كل بقاع الأرض ، لكى يتمكن الانسان من العيش فى كل أنحاء المعمورة ، فسواه الله بيديه ، ثم نفخ الروح فيه ، فكان كما أراد الله له أن يكون ، وبعد أن يكون الجسم غير صالح لان تحل الروح فيه ،يتحلل الجسم الى تراب ، وهى هدم للحياة ، فتبدأ "بتصلب الجسد ... هذا هو الصلصال ثم يتعفن فيصبح رمه .... وهذا هو الحمأ المسنون ، ثم يتبخر الماء من الجسد ويصبح الطين ترابا ويعود الى الأرض"(١)

ووجه الاعجاز أن الانسان الذى لم يدخل معمل الكيمياء يعرف أن الانسان يتحلل الى تراب ، وعالم الكيمياء عندما يريد أن يتأكد من ذلك يحلل عناصر الجسم البشرى ويحلل التربة بشكل دقيق وبالمقارنة يجد أن العناصر التى يتكون منها الجسم هى نفس العناصر التى يتكون منها التراب .

فالقرآن الكريم يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ولو أثبت العلم على وجه الدقة حادثة واحدة تخالف ما جاء به القرآن ، لانهارت القضية الايمانية برمتها ، وانتقضت الرسالة ، ولكن أنى ذلك ، وهو قول فاطر السماوات والأرض الذى "لا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيبه ، وهى أيضا تقتضى الا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور العلم الكونى التى علم الله الذى أنزل القرآن أنها ستكون"(٢)

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى "معجزة القرآن الكريم" ص : ١٢٠ .
(٢) د. محمد أحمد الغمراوى "الاسلام فى عصر العلم" ص : ٣٢١ .

فالقرآن يقرر بكل دقة مراحل خلق الانسان ، وما كان لبشر أن يعلمها وقت نزول الوحى الا خالقها الذى أوحى ذلك الى عبده ، يقول تعالى : "ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"(١).

فهذا وصف دقيق لأطوار الجنين فى رحم أمه ، وقد راقب الأطباء مراحل الخلق بالصورة فوجدها تنطبق تمام الانطباق على ما جاء به القرآن ، ويقرر الوحى أيضا أنه اذا بلغ الجنين أربعة أشهر أمر الله الملك بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ، كما ورد فى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد.."(٢).

فما حال الجنين قبل نفخ الروح فيه ؟ لقد قام العلماء بتشريح الأجنة فوجدوا تشابها كبيرا بين كثير من أجنة الحيوانات من ناحية الشكل والتركيب ، وذلك واضح كل الوضوح فى قوله تعالى : "ثم أنشأناه خلقا آخر" أى لم يعد ككل المخلوقات ، وانما أصبح خلقا آخر بعد الشهر الرابع ، وأما قبل ذلك فتكون "فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ، ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالارادة ، فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وارادته الى حركة نموه واغتذائه"(٣).

---

(١) سورة المؤمنون - آية من ١٢ - ١٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) ابن القيم "التبيان فى أقسام القرآن" ص : ٣٥١ .

ولقد أخطأ العلماء الطبيعيون عندما افترضوا أن أصل الكائنات الحية واحدا فى سلسلة التطور نتيجة الشبه الكبير بين أجنة السمكه أو القرد أو... الخ ، ولم يستدلوا بتشابههما على أن خالقها واحد الذى جعل من الخلايا المتشابهة أمما مختلفة وفق حكمة دقيقة ، فهناك خلايا تكون الجلد ، وأخرى تنقل الاحساس ، وثالثة تكون خلايا الابصار ، وخلايا للشعر ، وخلايا للسمع ... الخ لا يدل ذلك على اللطيف الخبير "الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين"(١) ناهيك عن الاختلاف الكبير حتى بين التوأمين ٠

كيف يتكون الجنين ؟

يتكون الجنين من نطفة الرجل ، ونطفة المرأة ، "فان منشأ الخصيتين فى جسم الجنين عند أسفل الكليتين"(٢)، ومع نمو الجنين تهاجر الخصيتان كما تهاجر العضلات الى خارج الجسم ، ومكانهما الأول بين الصلب والقفص الصدرى ، وهى أيضا منشأ مبيض المرأة ، وليس كما ظن المفسرون من أنه "صلب الرجل وترائب المرأة"(٣)، والآية واضحة فى تحديدها بين الصلب والترائب وليس من بين الصلب ومن بين الترائب فيقول تعالى : "يخرج من بين الصلب والترائب"(٤) وهذا مثبت علميا بما لا يدع مجالا للشك ، ويصور القرآن الكريم الظلمات الذى يعيش فيه الجنين فيقول تعالى : " يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلك الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون"(٥).

ويقول العلم فى شأن ذلك : "ان الجنين محاط بأغشية ثلاث :

---

(١) سورة السجدة ـ آية ٧ ٠

(٢) د٠ حامد الغوابى "بين الطب والاسلام" ص : ٢٩ ، ط : دار الكاتب العربى

(٣) تفسير ابن كثير ص : ٤٩٨ ج ٤ ٠

(٤) سورة الطارق ـ آية ٧ ٠

(٥) سورة الزمر ـ آية ٦ ٠

أ ـ غشاء السلى (الأمينون)

ب ـ غشاء الكارپون (المشيمى)

ج ـ غشاء الساقط (١)

وفسرها جلال الدين المحلى "بظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة"(٢) . والذى يعين جنس الجنين هو مني الرجل وليس ماء المرأة ، فالمرأة تنتج أنواعا متشابهة والرجل ينتج نوعين من الحيوان المنوى احدهما يشبه ماء المرأة والآخر لا يشبهه ، فاذا سبق الحيوان المنوى الذى يشبه مني المرأة آنث باذن الله ، واذا سبق الآخر أذكر باذن الله ، ويقول الله تبارك وتعالى : "فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى"(٣) أى من المني وهو فى الذكر .

لقد خلق الله الانسان فى أحسن صورة وسواه ببدن الكريمتين ، وعدله فأبدع تقويمه ، وقد جعل له من الصفات ما يشترك فيها مع الله ما عدا اسم الجلالة "الله" وعلمه ما لم يكن يعلم ، وسخر له ما فى السماوات والأرض جميعا منه .

فهل سأل الانسان نفسه عن هذه النعم ؟

لماذا خلق الانسان بهذه الصورة دون غيره من سائر المخلوقات ؟

الجواب ليتم نعمته عليه بعبادته سبحانه كما يريد ربنا أن نعبده قياما وقعودا وعلى الجنوب فى الركوع وفى السجود .

النحل : والنحل من الحشرات التى تعيش فى نظام دقيق يبهر العقول ويدل على قدرة الله سبحانه العظيمة وحكمته البليغة ، يقول الله سبحانه وتعالى : "وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن

---

(١) د. محمد على البار "خلق الانسان بين الطب والقرآن" ص : ٢٠٣ .

(٢) تفسير الجلالين ص : ٣٨٦ ، ط : المكتبة الشعبية .

(٣) سورة القيامة ـ آية ٣٩ .

الشجر ومما يعرشون، فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون"(١).

وهذه الآية الكريمة تدل على أن النحل يسكن فى مناطق سكنى الانسان ليستفيد منه ، فنعرف أن الانسان قد سكن فى أوائل حياته الجبال والكهوف فلم يكن يعرف من العمارة الا أن ينحت فى الجبال بيوتا تقيه الحر والبرد والأمطار والسيول والحيوانات المفترسة ... الخ . وهذا يدل عليه قوله تعالى : "وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين"(٢) وقوله تعالى على لسان ابن نوح عليه الصلاة والسلام "قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء"(٣)، ويقول تعالى أيضا : "والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا"(٤).

وخلية النحل آية من آيات الله تدل على عظمته متجلية فى تلك الحشرة الضعيفة ، ففيها من النظام والطاعة وحسن توزيع العمل ، ما يكون عبرة لمن يعيش على الأرض ، فلا يوجد فى الخلية الا ملكة واحدة ، ولا يسمح بوجود ملكتين ، والا فسدت الخلية ، والملكة هى التى تضع البيض ، والشغالات هى التى تتحكم فى نوع الحشرة التى تخرج من البيضة ملكة أو ذكرا أو شغالة ، فاذا ما ماتت الملكة سارعت الشغالات الى اطعام احدى اليرقات الغذاء الملكى فتصبح ملكة ، والنحل تهتم بنظافة الخلية من كنس وتلميع ، وتهتم كذلك بتكييف الخلية ، فبعض الشغالات ترش الماء والبعض الآخر تدفع الهواء بواسطة الأجنحة ، ويحرم على النحلة التبرز داخل الخلية حتى اذا أدى ذلك الى هلاكها ،

---

(١) سورة النحل ـ آية ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) سورة الحجر ـ آية ٨٢ .
(٣) سورة هود ـ آية ٤٣ .
(٤) سورة النحل ـ آية ٨١ .

ويقول علماء الحشرات : ان لغة النحل هى الحركة والرائحة ، حيث تخرج منها أربعة وعشرون نوعا من الروائح لكل رائحة مدلول ، فعند الكنس تخرج رائحة معينة يفهم النحل أن حان موعد الكنس ، وهكذا ٠٠ وفى حالة زيادة عدد الخلية عن عدد معين تنفصل الخلية الى خليتين ، والنحل يلقح الزهور الذى يعتمد الانسان على ثمره فى اغتذائه هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ينتج النحل شرابا مختلفا ألوانه على حسب نوعية الرحيق الممتص مع حبوب اللقاح ٠ والملاحظ أن الآية قد نصت على أن الذى يخرج من بطون النحل شراب ، وهو أعم من العسل ، اذ يشمل العسل وغيره ، وقد توصل العلماء الى أنواع الأشربة التى ينتجها النحل ، وعرفوا قيمتها الطبية العظيمة فى علاج كثير من أمراض روماتزم المفاصل والتسمم الناتج عن البول السكرى وهى كما يلى :

١ ـ العسل الملكى : وهو غذاء خاص بالملكات ، وهو أنقى أنواع العسل٠

٢ ـ خبز النحل : وهو العسل الممزوج بحبوب اللقاح وهو غذاء للشغالات٠

٣ ـ الشمع : وهو مستودعات العسل ، والبيض الذى تضعه الملكة ، وفتحته سداسية غاية فى الدقة ٠

٤ ـ سم النحل : وهو السائل الذى يفرزه النحل حين الدفاع عن نفسه وعن الخلية ٠

وقد استعمل الشراب الآنف الذكر فى علاج كثير من الأمراض ، وهذا تصديق لما جاء فى كتاب الله تعالى ٠

ويتكون العسل من "١٦ ٪ ماء ، وحوالى ٤٪ سكر فواكة ، وحوالى ٤٪ سكر عنب (الجلوكوز) و ١٪ سكر قصب ، غير الحديد والبوتاسيوم والصوديوم ، والكبريت ، والمغنيسيوم ، وحامض الفوسفوريك ، وحامض الفورميك ، والمواد القطرية"(١).

---

(١) بين الطب والاسلام ص : ٣٦ مصدر سابق ٠

ويستعمل العسل بالاضافة الى كونه مغذى ومقوى ، وقد التسمم الى "وجود مادة مجهولة فى عسل النحل وشمعه ، لها القدرة على شفاء تصلب المفاصل"(١). وقد أثبتت التجارب التى أجريت على الانسان "أن العسل المستخرج من القرص مباشرة دون أن يسخن أو يتعرض لأى معاملة صناعية يقضى على تصلب الرسغين"(٢).

واذا تقرر هذا فى كتاب الله وقد أيده العلم كما رأينا ، ألا يكون هذا مدعاة للتفكر فى هذه الآية التى ساقها الله تعالى لنتفكر فيها ، ونتبع ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ٠

اختلاف الثمرات: وآية أخرى من آيات الله فى الكون والتى يمر عليها الناس دون الانتقال لما بعدها من قدرة المبدع من غير مثال سابق ، ألا وهى الكم الهائل من الثمرات التى تنتجها النباتات المختلفة مع كون تربتها واحدة ، والماء واحد ، والكيماويات التى تستعمل كسماد واحدة أيضا ، والجو المحيط بالنباتات واحد ، فكان من الأولى أن تكون الثمرات المختلفة متشابهة فى الطعم ، ولكن نلاحظ أنها تختلف فى الطعم والشكل والرائحة ، ونفضل هذا على ذاك ٠

(١) عبد الرزاق نوفل "الله والعلم الحديث" ص: ٢٠٨ ٠
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

فهل تجاوز تفكيرنا هذه المشاهد ،لنعرف غير المشاهد ، الـذى تقـــوم السماوات والأرض بأمـــره ،فنعرف الحكمه البالغه التى تسوقها آيـــات للانسان لكي يرجع منيبـا الى مولاه ،منسجما مع الكون المحيط به في التسبيـح بحمد الله طائعا مختارا مقبلا غير مدبر،مستسلما غير متمرد يقول المولى فـــي كتابه العزيز عن هذه الايـة " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكـل ان في ذلك لأيات لقوم يعقلون " (١) ويقول أيضا " هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيـــل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لايه لقوم يتفكـــرون " (٢) .

وقد يفكـر رجل قبل خمسين عاما فقط،فيقر بما قلناه ،ويسأل : كيـف يمكن تسخير مافى السموات والأرض من شموس ونجوم وكواكب كما ورد فى كتـاب الله " وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فـــي ذلك لايات لقوم يعقلـــون " (٣) ،وقوله تعالى ايضا " وسخر لكم مافـــي السماوات ومافى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٤) .

وقد عرفنـا كيف نستفيد من الأرض والبحار والأنهار والأمطار... الخ وكيـف نسخرها فى خدمتنـــا .

والآن نريد أن نعرف بعض ماأورده العلم ،ولا يعدو أن يكون خدشا بسيطـا من نعم الله المسخرة لنـــا .

---

١) سورة الرعـد آيـه ٤

٢) سورة النمـل آيـه ١٠ ، ١١

٣) سورة النمـل آيـه ١٢

٤) سورة الجاثيه آيـه ١٣

- الغـــــلاف الجـــــوى :

يتكون الغلاف الجوى من غازات ، يحفظها من الانفلات فى الفضـــــاء الجاذبية الأرضية ، وغالبية هذه الغازات نيتروجين واكسجين وثانى اكسيـــــد الكربون وبخار الماء . . الخ . فهذه الغازات لازمة لحياة الإنسان والحيـــوان والنبات للتنفس والغذاء ، وتلعب الشمس دورا حيويا فى ابقاء الحياه علـــى سطح الأرض، فالشمس تمدنا بالدفء اللازم لسير الحياة ، وضوء الشمس يمتصـــه النبات مع ثانى اكسيد الكربون من الهواء الجوى ، وكذلك يمتص النبات النيتروجين المذاب فى الماء ، بواسطة الجذور ، فتحدث عمليات كيماوية يكون على اثرهـــا انبعاث الأكسجين الى الهواء الجوى ، ويتكون النشا في داخل الثمار وتسمى هذه العملية عملية التمثيل الضوئى ، وكما أنها لازمة للنبات، فهى ضرورية للانسان فهذه العملية تحدث توازنا فى نسب الغازات فى الهواء الجوى ، فلو تصورنـــا أن نسبة الأكسجين زادت عن النسبه الحالية ، لانتشر الحريق على الأرض ، ولـــو نقصت نسبة الأكسجين عن هذه النسبه ، لما كانت الأرض مهيأه لأن يعيش عليهـــا الانسان والحيوان ، فكل شئ من صنع اللطيف الخبير بمقدار ، ولو اختل هـــذا التوازن الدقيق ، لما وجدت هذه الحضارة الآنسانيـــــة .

وكل يوم يأتى العلم بجديد ، حيث اثبت العلماء أن الغلاف الجوى لـــه فوائد عديدة غير ماذكرناه ، فمن فوائده أنه يمنع الحراره من التسرب الى خـــارج الكره الأرضية طبقا للقانون الديناميكى للحرارة(١)مما قد تؤدى الى انخفـــاض درجات الحرارة الى مستوى يتجمد فيه كل شئ ، ومن ناحيه أخرى فإن الغـــلاف الجوى يمنع الحرارة العالية من الوصول الى سطح الأرض ، مما قد يؤدى الـــى تفحم كل شئ موجود على الأرض ، وماثبت علميا أن سطح الكواكب التى لاغـــلاف لها مثل القمر أوكوكب الزهره أوعطارد ، ترتفع درجة الحرارة فى النهار الى درجات عالية،وفى الليل تنخفض الى درجات كبيره ، مما كون لدى العلماء اعتقادا أن هذه الكواكب لاتوجد على سطحها حياه شبيهة بالتى على هذه الأرض .

---

١) وهو ببساطه أن الحرارة تنتقل من المنطقة ذات الحرارة العالية الى المنطقة ذات الحرارة الأقل حتى التعـــــادل .

ويعتبر الغلاف الجوى درعا واقيا يحمينا من مضار الأشعة الكونية (١) والأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس، فيقوم بتشتيت هذه الأشعة خارج الغلاف الجوى وامتصاص كثير منها ، ولا يسمح الا بجزء يسير جدا صالح لحياة الانسان والكائنات الأخرى ، ولا يشكل أى خطر عليها . وللشمس فوائد أخرى فى فترة مايسمى بالكلف الشمسى ، حيث يزداد نشاط الشمس، فتمتد ألسنة الرياح الشمسية أو البلازما (٢) الى مئات الآلاف من الكيلومترات فى الفضاء فى دورة ومقدارها احد عشر عاما ، وهذه الرياح ايضا وقاية للأرض حيث أنها تقف حائلا ضد الاشعه الكونية الآتيه من الفضاء الخارجى ، ويمكن الاستفادة من هذه الأشعة الكونية النقية حيث يمكن تحويلها الى كهرباء ، والكهرباء تُوجه الى دوائر التكبير حيث تحول الى أشعه ذات طول موجى دقيق للغاية ، فيرسلها بكل عناية الى الأرض عن طريق التوجيه الدقيق لهوائى المشع، حيث تستقبلها الأجهزه الأرضية وتعيد تحويلها الى كهرباء يمكن تسخيره فى خدمة الانسان ، حيث لا يخفى منافع الكهرباء ، ويلزم لذلك معامل فضائية ضخمة تدور حول الأرض .

ولا تقتصر منافع الفضاء على ذلك حيث أن لبيئة انعدام الوزن تأثيرات بيولوجية على نمو الخلايا الحيه وتدل تجارب الروس على أن انقسام الخليه يزداد بسرعة فى الفضاء (٣) مما يرشحه ليكون بيئة صالحة للحصول على نباتات جديده ذات انتاج اكبر ، مما قد يساعد على رفع شبح المجاعة الذى

---

١) الأشعة الكونية : اشعاعات ذات طاقه عاليه ، تنتج من التفجيرات التى تحدث فى نجم المستشعر الاكبر ، احد نجوم مجرة سكه التبانه الذى يظهر ويخبو .

٢) البلازما أو الرياح الشمسية : حاله تنحل فيها الذرات الى دقائقها الاولى المكونه للمادة ، فتنفصل الالكترونات عن البروتونات عن النيوترونات تحت وطأه شدة الحرارة العالية داخل النجم .

٣) لنكولن بلومفيلد الفضاء الخارجى ص ١٠٨ ط مكتبة النهضة ترجمة - زكريا البرادعى .

يهدد البلايين من البشر .

ويمكن معرفة تأثير بيئة انعدام الوزن على نفسية رواد الفضاء ووظائف الاعضاء بالمكوث طويلا فى الفضاء ، وارسال المعلومات اولا بأول الى المحطات الأرضية ، تمهيدا للتوجه بالأقمار الصناعية الى الكون الفسيح ، حيث تزداد قوة الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجيه الضاره على جسم الانسان .

وتعتبر الأقمار المتخصصة بالأرصاد ذات أهمية خاصة للانسان ، حيث ترسل المعلومات والبيانات عن حالة الطقس والاحوال الجوية ، واتجاه المرتفعات والمنخفضات الجويه ، وأماكن تجمع السحب الركامية الممطرة وبداية تكون العواصف ، واتجاه الأعاصير المدمرة حيث يأخذ الانسان حذره فى البر والبحر والجو ، مما يقلل من أخطار الكوارث الناجمه عنها .

وفى المجال الاقتصادى ، حيث يتمكن الانسان من معرفة مناطق تجمع الأسماك ، ومعرفة الأراضى الزراعية الخصبه ، والكشف عن المعادن من باطن الأرض من حديد ونفط ... الخ .

وفى الصناعه ، حيث تكون بيئة الفضاء نموذجية للصناعة وذلك لانعدام الجاذبية وانعدام وجود الغازات التى تؤثر على عمليات صب المعادن وتكوين السبائك النقيه ذات المتانة العالية ، والتى تقوم عليها الصناعة الأرضيه .

وفى المجال الطبى ، فالفضاء مرشح للقيام بالبحوث الطبية التجريبية حيث تكون بيئة الفضاء كامله التعقيم ، ويقوم العلماء بانشاء مستشفيات مدارية تحقق كثيرا من الخدمات العلاجية والعمليات الجراحية فى بيئة انعدام الوزن كضعف ضخ القلب فى الأوعيه الدموية وحالات الشلل الجزئى وحالات الحروق التى لا ينبغى لجسم المريض ملامسة الفراش .

وهناك استعمالات أخرى من الكيمياء والطبيعة والجيولوجيا ومشكلة تلوث البيئة بالنفايات النووية واستعمال الأقمار الصناعية كمستودعات للأسلحة

النووية وللتجسس وتوجيه أشعة الليزر، وتوجد في الفضاء محطات للانـــذار المبكـــر .

الا يدل ذلك على نعم الله علينا ، وآية من الله تعالى تنادينا للإيمـــان بخالق ذلك ومبدعه يقول تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهـــم حتى يتبين لهم الحـــق " (١) .

علـوم الاحافيـر أوالحفريـات (الجيولوجيـا)

وهذا العلم يبحث في الصخور وتكوينها والأحافير التي تحويها تلـــك الصخور الرسوبية التي ترسبت في قيعان المحيطات بفعل حركة الماء علـــى اليابســـه .

أنـواع الصخـــور :

أ - الصخور الناريـه وتتكون بفعل البراكين مثل البازلـــت .
ب - الصخور المتحوله وهي صخور تتحول بفعل عوامل الضغط والحراره مـــن صخور ناريه ورسوبية الى انواع آخرى من الصخـــور .
جـ - الصخور الرسوبيـة وهي التي تترسب بما تنحته المياه من اليابسه وتلقـــى به في قيعان المحيطات والبحار، ويحصل بفعل الترسيب تكون سلاســـل من الجبال جديده تزيح مياه المحيطات الى أماكن أخرى ، فيختـــل التوازن الواقع على قلب الأرض، فتثور البراكين ويحدث الزلازل ، وتتكـون جبال جديده تحفظ للأرض توازنها، يقول تعالى" وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون " (٢) فذكر سبحانـــه الأنهار بعد الرواسي ،مما يدل على أن الأنهار سبب في ايجاد الـرواسي وهذه الرسوبيات تحوي خلالها كثيرا من الحفريات أو الأحافير ، وهـــي تدل على أنواع الأحياء التي كانت سائدة في هذه الأحقاب، ولهـــذا

---

١) سورة فصلـــت آيـه ٥٣
٢) سورة النحـــل آيـه ١٥

يقول الحق سبحانه وتعالى " قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق ثم الله ينشىء النشأه الآخره ان الله على كل شىء قدير" (١) أى على الانسان أن يستدل بالنشأه الأخرى وأن يتعدى الانسان ببصيرته مايقع عليه بصره وحواسه ، والسير فى الارض يعنى التمهل والصبر والبحث والتنقيب للتعرف على كيفية الخلق عن طريق التعرف على ماتحويه الصخور من احافير ، وقد حفظت بدون تآكل على مر الزمن ، لتكون للانسان آيه ، والماء مذيب عظيم لا سيما للمواد العضوية ، وللعناصر الفلزيه وغيرها ، فعندما يموت الكائن الحى وتغمره الرسوبات ، تبدأ عملية الاذابة والاحلال ، فيذيب الماء المواد العضوية والغضاريف ، ويحل محلها عناصر اخرى مذابه فى الماء كعنصر الحديد والجير وغيرها ، وهكذا يحفظ جسد الكائن الحى على مدى القرون والأحقاب الطويلة ، بنفس الحجم ، وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم فوصف تلك العملية أدق وصف فقال " وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا، قل كونوا حجارة أوحديداً، أوخلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا" (٢) . وقال سبحانه عن فرعون عندما ادركه الغرق وآمن حين لا ينفع النفس ايمانها ، ولم تكن آمنت من قبل قائلا سبحانه " فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آيه .." (٣) .

وبعد عرض هذه الآيات العلمية والتى أوردناها ، وهى نزر يسير من كتاب الله تعالى ، فهمها فى عصر نزول القرآن الذى لا يعرف القراءة والكتابة بشكل وفهمها علماء القرن الحالى بشكل اخر وسيفهمها علماء المستقبل ، وهى كما انزلت على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون تحريف ، وهو كلام يطابق مقتضى الحال ، اليس ذلك بلاغة علمية معجزة ، تخاطب الناس على قدر عقولهم وشرعة ومنهاجا لقوم يتفكرون ، فالكل ينهل من هذا المعين الذى لا ينضب ولا تنقضى عجائبه ، ولا يبلى

---

١) سورة العنكبوت آيه ٢٠

٢) سورة الاسراء آيه ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

٣) سورة يونس آيه ٩٢

من كثرة الرد ،فسيظل القرآن الكريم محجة بيضاء ،وحجه بينه على العبـــاد ، بشيراً ونذيرا فالمؤمنون " اذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجدا وبكيا (١) والذين كفروا واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فـــي أذنيه وقر فبشره بعذاب اليـــم " (٢) .

ويقول تعالى مستنكرا لمن يمر على هذه الآيات ثم يستكبر عن الايمان باللـــه ورسوله والكتاب الذى انزل " أفلم تكن آيـاتى تتلى عليكم فاستكبر تم وكنتـــم قوما مجرميـــــن " (٣) .

---

١) سورة مريـــم آيـة ٥٨

٢) سورة لقمـان آيـة ٧

٣) سورة الجاثيـه آيـة ٥

المبحـــــث الثانـــــــى

العلم التجريبى والايمـــان بالغيـــــب

الغيـــب : مصدر من الفعل غاب يغيب وهو كل ماغاب عن العيون وان كـان محصلا فى القلوب وجمعـه غيـــوب . (١) .

والله غيب ،لان له حجابا من نور ،ولو أزيح حجابه ،لاحرقت سبحـات وجهه الكريم ماامتد اليه بصره ،وهو لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصـار .

المنهـج العلمـــى :-

هوالطريقه التى نستطيع أن نبرهن بها أونثبت بها علماً من العلوم فعـن طريق المنهج يمكن التمييز بين العلم والوهم أو الإدعاء ،وحيث أن العلـوم متنوعة ،فالمناهج تبعا لذلك متنوعة ،فمنها ماهو طريقة الحس والمشاهـدة ، كأن يدعى شخص وجود عمارة بمواصفات معينه ،فنتحقق من صدقه بواسطـــة الحـــس .

ومنها ماهو طريقه اثباته التجربة ،فيقول : ان الماء يغلى عند درجـة حرارة تبلغ المائة ،فنعيد التجربة فى نفس المكان ونتأكد من أن المـــاء يغلى عند هذه الدرجة أم لا ،أو أن يدعى أن الماء مكون من الايدروجين والاكسجين ،فنعيد التجربة ونتأكد من صحة ذلك عن طريق تحليل المـــاء بواسطة الكهربـــاء .

ويعتبر الخبر من أهم المعارف الانسانية ،لا سيما فى علوم التاريخ ،حيث انمحت آثار الحوادث ،ولم يبق الا المسطر بين صفحات الكتب من وصـــف للحقائق المشاهدة ،وتسجيل لثقافات العصر ،ولو أن الانسان ضرب بالخبر عرض الحائط لما تقدم كثيرا ،من حيث أنه لا يضم اليه خبرات من سبقـــوه

---

١) لســان العـــرب

فى مضمار معين من الحياه ، ولتطّلب منه البداية من الصفر ، وماالقراءه الا استطلاع للأخبار ولعظم مكانة القلم ومايسطره ويدونه ، اقسم به سبحانه وتعالى قائلا " والقلم ومايسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون " (١) يقول ابن القيم الجوزيه عن أهمية القسم وعظم مكانة القلم ، ومدى ضعفه وسطوته " فأقسم بالكتاب وآلته ، وهو القلم الذى هو احدى آياته وأول مخلوقاته ، الذى جرى به قدره وشرعه ، وكتب به الوحى ، وقيد به الدين ، واثبتت به الشريعه ، وحفظت به العلوم ، وقامت به مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، فوطدت به الممالك ، وأمنّت به السبل والمسالك ، وأقام فى الناس أبلغ خطيب وأفصحه ، وانفعهم لهم وأنصحه ، وواعظا تشفى مواعظه القلوب من السقم ، وطبيبا يبرئ باذنه من أنواع الألم ، يكسر العساكر العظيمة ، على أنه الضعيف الوحيد ، ويخاف سطوته وبأسه ذو البأس الشديد ، وبالاقلام تدبر الاقاليم ، وتساس الممالك ، والعلم لسان الضمير ، يناجيه بما استتر عن الاسماع ، فينسج حلل المعانى فى الطرفين فتعود احسن من الوشى المرقوم ، ويودعها حكمه فتصير بوادر الفهوم ، والاقلام نظام للافهام ، وكما أن اللسان بريد القلب ، فالقلم بريد اللسان ، ويولد الحروف المسموعه عن اللسان ، كتولد الحروف المكتوبه عن القلم ، والقلم بريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت (٢) فبالقلم تكتب الاخبار وتنتقل العلوم من جيل الى جيل .

والخبر نوعان :

أ - خبر بشرى : وهو الذى ينقله انسان مثلنا ، من حوادث أو امكنه رآها وتجارب اثبتها ، فالواجب التثبت فيما ينقل الينا من هذه الاخبار ، ولذلك نحكم الحس والخبره والعقل فيها ، فما يحكم الحس والعقل والخبره بقبوله قبلناه ، ومايحكم باستحالته رفضناه ولم نصدقه ، فمثلا اذا كان الكلام متناقضا كقول احدهم رأيت البحر ولم أره ، وأما اذا كان الحس لا يصدقه كأن يقول رأيت الملائكه كذبناه ، أو أن يقول أن نصف الشئ اكبر منه رفض ايضا .

---

١) القلم ١ ، ٢

٢) التبيان فى اقسام القرآن ٢٠٦ ، ٢٠٧ ط دار المعرفه .

ب ـ اخبـــار الهيـــــه : وهى وحى من الله الى رسوله الذى اختاره وهـــــي ايضا نوعـــان : كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام الله وعلمه محيط ، كاحاطة الله بكل شئ سبحانه " والله من ورائهم محيط " (١) ، والوسيله العلمية لها صحه نسبتها الى الرسول ، وفهمها فهما صحيحا دون تحريـــــف أوتعطيل أو تحميل اللفظ مالا يطيق من معنـــى .

فطريق معارفنا الى الغيب هو الخبر لان الغيب لا يمكن لحواسنا البشرية أن تحيط به أو نتحكم فيه ، مهما تقدمنا فى العلوم ، ومهما زادت وسائل ادراكنا للاشياء ، بالتكبير تارة وبالتقريب اخرى أو بالتصوير بالاشعة السينية أو تحـــت الحمراء . . . الخ هذه الأشياء التى تزيد من وسائل حسنـــا .

فاذا ادعى شخص مابأنه رسول يوحى اليه من الله ، ويخبرنا بما يوحـــــي اليه من الغيب وبما يجب أن نفعله ، ومايجب أن نتجنبه ، ويخبرنا أن نؤمـــن باشياء خارج مدركاتنا من ملائكه وجن واليوم الاخـــر . . . الخ .

فالطريق العلمى الصحيح للتأكد من هذه الاخبار ، هو دراسة حال الشخص واخلاقه ومعاملته مع الناس ، وحال عقله ، ومنزلته بين قومه يقول تعالى : " أولـــم يتفكروا مابصا حبهم من جنّه ان هو الا نذير مبين " (٢) ، ويقول تعالـــــى بشأن اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ونافيا عنه الجنون . . "ماأنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيـــم " (٣) ويقـــول الله تعالى فى سير رسوله عليه الصلاة والسلام وهو أصدق القائلين " قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللـــــــه يجحـــدون " (٤) ويقول ايضا عن نبيه صالح " قالوا ياصالح قد كنت فينـــا مرجوا قبل هذا " (٥) هذا قول الله فى رسله وهو كثير فى القرآن الكريـــم ،

---

١) سورة البـــروج آيـــه ٢٠
٢) سورة الاعـراف آيـــه ١٨٤
٣) سورة القلـــم آيـــه ٢ ، ٣ ، ٤
٤) سورة الانعـام آيـــه ٣٣
٥) سورة هـــود آيـــه ٦٢

وقد ينكره المنكرون ، لتتعرف على وجهة نظر الكافرين بالرسل والمصادين عن سبيل الله ، فهذا عتبة ابن ربيعة يقول للرسول صلى الله عليه وسلم " يا ابن اخى ، انك منا حيث قد علمت من السّطه فى العشيره ، والمكان فى النسب" (١)، وها هو معاند آخر ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النضر بن الحارث من شياطين قريش يقول " قال ابن اسحاق : فقال : يامعشر قريش انه والله قد نزل بكم امر ماانتيتم به بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضا كم فيكم ، واصدقكم حديثا واعظمكم امانه ، حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ماهو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ماهو بكاهن ، قد رأينا الكهنه وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه كلها ، هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ولا تخليطه" (٢). وهذا رأى اعداء الرسول فى الرسول عليه الصلاة والسلام وفى كلامه الموحى اليه به ، وهناك تشابه كبير بين الرسل ومكانتهم فى اقوالهم لانهم اخوه ودعاه الى الله باذنه .

واذا تقرر هذا وعرفنا مكانة الرسل فى أقوامهم وأحوالهم العقليه والاخلاقية والسلوكية وصدقهم ، طلب منهم ابراز الحجه واقامة الدليل والبرهان على صدق رسالتهم وصحة قولهم .

فقد أيدهم الله بالمعجزات الحسيه الداله على صدق مايدعون اليه ، كبرهان لكى يصدق بها العقل فيدخل الايمان الى القلب ، ولنضرب أمثلة عن المعجزة :

المثال الأول - حال موسى مع فرعون وسحرته ، عندما دعاه الى رب العالمين
= = = = = = = =
عندئذ اتهمه فرعون بالجنون " قال أولوجئتك بشىء مبين قال : فأت به ان

---

١) السيره النبوية لابن هشام ص ٢٦١ مرجع سابق جـ١

٢) المرجع السابق ص ٢٦٥

كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين "(١) وهذا العرض من موسى عليه السلام، ليدلل بها على صدقة.

المثال الثانى - حال صالح مع قومه عندما حددوا المعجزه وعينوها طبقا لما يريدون، فأيد الله صالحا بالمعجزه على نحو ماطلبوا، فآمنت طائفه وكفرت الاخرى.

المثال الثالث - حال المؤمنين مع رسلهم عندما يطلبون من الرسول المعجزه بعد الايمان، ومثاله عيسى ابن مريم عليه السلام مع الحواريين عندما طلبوا من عيسى أن يطلب من الله أن ينزل عليهم مائده من السماء.

المثال الرابع - طلب الرسول للآيه، ومثالنا فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام عندما طلب من ربه أن يريه كيفية احياء الموتى ليطمئن قلبه.

المثال الخامس - ظهور معجزة حفظ الله لرسله من السوء مثل ماحصل لابراهيم عندما قذف فى النار، ورفع عيسى ابن مريم عندما تآمر بنو اسرائيل على قتله وصلبه، ومعجزة خروج محمد عليه الصلاة والسلام من بين القوم ليله هجرته من مكه الى المدينة، وأمثالها كثير، وليس هنا مجال لحصرها والوقوف عندها.

هذه الايات التى اجراها الله على يد رسله معجزات حسيه كما نرى، مصحوبه بالتحدى، فاذا اعترف الملأ بها، كان ذلك دليلا على صدق دعوى الرسول وبرهانا فالايمان به واتباع دعوته.

وهى لاتختلف كثيرا عن البرهان العلمى التجريبى القائم على الرصد والتتبع والتوثيب، فكل منهما يؤيد دعوته بالدليل الحسى على صدقها والايمان بها.

---

١) سورة الشعراء آيه ٣٠، ٣١، ٣٢

وان كانت معجزات الرسل ، قد انتهت ، بانتقال اصحابها الى الرفيق الاعلى فهذا يدلنا على أن تلك الرسالات ليست ابديه ، لان الجيل الذى عاش فيه الرسول هو الذى شاهد المعجزه وعاينها ، فما هو موقف الاجيال الأخرى ؟

اذن فالرساله الباقية والتى تصلح لكل زمان ومكان يجب أن يبقي الاعجاز فيها مادامت السماوات والأرض، ويجب انفصال المعجزة عن الرسول وهذه متوفره فى القرآن الكريم ، وحى الله الى الرسول الامين ، وقد عرضنا نموذجا لهذا الاعجاز العلمى ، الذى اكتشف العلم بعض جوانبه فى مبحث سابق ، وكان هذا مع عدم وجود الرسول .

رد الفعل البشرى تجاه الدعوة :

وتتلخص ردود الفعل فى أمور وهى : الاصغاء بوسائل الادراك الى الدعوه والتثبت من المعجزة ، وعلم محصل منها ، وهنا يستوى الناس وتأتى مرحله اخرى ، يفترق الناس عندها الى :

أ - مؤمن يتبع الحق ويذعن له ويستسلم لاحكامه ويتمسك به ، ويدعو اليه .
ب - الى كافر يصد عنه ، ويتمرد عليه ويحاربه .
جـ - الى امّعه لا يؤمنون ولا يكفرون .
د - الى منافقين يرضون الطرفين ، وهم اشد الكافرين خطرا .

ونريد توضيح ذلك بإيجاز .

الاصغاء الى الداعى :

عندما يقوم الرسول يدعوقومه الى الايمان بالله وعبادته لاشريك له ، ويقيم الدليل بالحوار أوبالمعجزة على أنه رسول الله - وتختلف المعجزات من رسول الى آخر ، حسب طور هذه الامه - وقد انتهت البشرية الى طور الرشد فاقتضت حكمة المولى عز وجل الى عدم انفصال المعجزة عن آيات

الشريعـــه المنزله من اللـــه ، والتى لاتتناقض ايضا مع آيات الله الكونيـــــة .

ولقد راعى المنهج الاسلامى جوانب الفطرة الانسانية المتمثلة فى العقـــل والعاطفه والقلـــــــب .

فقد ساق الله تعالى الدليل العقلى والعلمى على وجوده سبحانه وتعالى " ام خلقوا من شىء ام هم الخالقون" وحث العقل الانسانى على التفكر فى خلـــق السماوات والأرض ، وسير اغوار الكون ، والاعتبار بما حصل الى ماسيحصل فى الاخره وكذلك قياس الشاهد على الغائب يقول تعالى" رزقا للعباد واحيينا به بلـــدة ميتا كذلك الخروج " (٢) وقوله تعالى" وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : مَـــن يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى انشأها أول مره وهو بكل خلـــق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون أوليـــــس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كـــل شىء واليه ترجعون " (٣) وآيات الاستدلال كثيرة ، وقد انكر الله عز وجـــل على البشر الذين لا يستدلون بقوله تعالى " اليس ذلك بقادر على أن يحيـــى الموتـــــى " (٤) .

واهتم الاسلام كذلك بالعاطفه ، فساق آيات الترغيب والترهيب ، ليرقـــق النفـــس وينبه العاطفه ويثيرها يقول تعالى " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيـــد وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ماتوعدون لكل آداب حفيظ من خشى الرحمان بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلـــود ، لهم مايشارون فيها ولدينـــا مزيـــــد " (٥) .

---

١) سورة الطـــور آيـــه ٣٥

٢) سورة ق آيـــه ١١

٣) سورة يس آيـــه ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٤) سورة القيامة آيـــه ٤٠

٥) سورة ق آيـــه ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

وقد تعرضت الايات للجانب القلبى واهتم الوحى باصلاحه ،لان فى صلاحه واقباله على طاعة الله وحفظ حدوده ،تزكيه لنفسه وتقويم لفطرته ، يقول الله تعالى " يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم وازلفت الجنه للمتقين ،وبرزت الجحيم للغاوين " (١) ويقول ايضا قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافى الصدور " (٢) .

ويترتب على سماع الدعوه ورؤية المعجزه علم محصل منهما ،يقوم على الحجه والبرهان ،لهذا امرنا بحسن الاصغاء والتفكر. يقول تعالى" ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا " (٣) .

وقد رتب الله مسئولية كبيره على وسائل الادراك ،وجعل فيهما جماع العلم الانساني قائلا ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا " (٤) .

وقد أودع الله فى فطرة الانسان القدرة على التعلم بما منحه من وسائل الادراك ومبادىء مغروسه فى الفطره،مثل عدم اجتماع الشىء ونقيضه ،كالقول بأن الشىء موجود وغير موجود ،وكذلك جزء الشىء اقل منه وكذلك ان الحجم ينقص بالبعد عنا . وكذلك وجود اله معبود خالق الكون .

ونستطيع بهذه المبادىء أن نتلمس الحق ونتبعه ونتمسك به بالحكم الصحيح على الشواهد والدعوات .

الحاله النفسية للمدعوين :

عند ما يصغى الانسان الى الداعى ويرى المعجزه ،ويحصل منها علما ويحكم بالمبادىء التى غرسها الله فى نفسه على العلم المحصل من المعجزه

---

١) سورة يونس آيه ٥٧

٢) سورة الاسراء آيه ٣٦

٣) سورة الشعراء آيه ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١

٤) سورة النساء آيه ١٧٤

ينقسم المدعوون الى اصناف :

الصنف الأول :

وهم ذو نفسية شفافه صافيه ، وتكون قواهم الروحية اعلى من القوة المادية الدنيوية المحسوسه ، فاذا عرض عليهم الدين الصحيح ، يستجيبون له ، ويتمسكون به ، ويدعون اليه ، ويبذلون من اجله النفيس يقول الله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض" (١) ويقول تعالى ايضا"سا بقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض" (٢) ، وهذا الصنف سريع الاستجابة ولا يحتاج الى معجزة ، ومن امثله ذلك في التاريخ ابوبكر رضى الله عنه وعلى وعثمان وطلحه والزبير .

الصنف الثاني :

وهم الذين يطالبون بالدليل والبرهان على صحة الدعوة ، فاذا ماثبت بالدليل القاطع صحة الدعوة ، يؤمنون بها ، وامثلة ذلك من قوم صالح عليه السلام ، ومن المسلمين عمر بن الخطاب .

الصنف الثالث :

وهم الذين يردون الدعوة مستكبرين عن الحق ، صادين الناس عن قبوله وهؤلاء قد بلغت الحجب على قلوبهم اقصاها ، وطبع الله على قلوبهم ، ومن امثال هؤلاء ، فرعون وابولهب وابوجهل .

الصنف الرابع :

وهذا الفريق حاول ان يرضى المؤمنين ، فآمنوا بألسنتهم وتكلفوا القيام بشرائع الاسلام ، وأما قلوبهم فهى كافرة جاحدة ، مطبوع عليها ، وهم

---

١) سورة آل عمران آيه ١٣٣

٢) سورة الحديد آيه ٢١

لا يفقهـــون ، وهؤلاء أشد خطرا على المؤمنين من الكفار الذين اعلنوا كفرهـــم ، وهؤلاء هم المنافقون مثل ابى ابن سلـــــول .

الاسبـــاب التى تمنع بعض الناس عن الايمان بالله ورسلـــــه :

ويمكن تلخيص هذه الموانع فيما يلـــــى :-

أ - موانـــع ذاتيـــه مـــن الفـــــرد .

ب - موانـــع مـــــن خـــارج الفـــرد .

أ - الموانـــع الذاتيـــــه

وتكمن هذه الموانع أو الحجب من نفس الانسا ن أو من نفس المكلف ، ومن هذه الموانع ، الكبر ، والحسد ، والهوى ، وهى من اشد الصوارف عـــــن الايمان ، فترى الحق أمام عينيها أبلج من الصبح فتصدف عنه ، وعن التفكيـــــر فيه يقول الله تعالى فى شأن المستكبرين " ويل لكل افاك اثيم ، يسمـــــــع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم ، واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذا ب مهين " (١) وقال تعالـــى ايضا عن قـــوم نوح " أنؤمن لك واتبعك الارذلون " (٢) ويقول تعالى بشـــأن المنافقين " واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم ورأيتهـــم يصدون وهم مستكبرون " (٣) وكذلك الحسد من الموانع التى تفوق الكبر ، لان الكبر قد يقوم مع الجهـــل بالشىء ، أما الحسد فلا يقوم الا مع العلم بالمحسود عليـــه والحسد شر كلـه ، لانه تمنى زوال النعمة عن المحسود ، بخلاف الغبطة وهـــى تمنى الحصول على نفس الشىء ، وقد امرنا بالاستعاذه بالله من شر الحســـــد "ومن شر حاسد اذا حســـد " (٤) ويقول تعالى " ود كثير من اهل الكتـــاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهـــم

---

١) سورة الجاثيـــه آيـــه ٧ ، ٨ ، ٩

٢) سورة الشعـــراء آيـــه ١١٠

٣) سورة المنافقـــون آيه ٥

٤) سورة الفلـــــق آيـــه ٥

الحـــق ٠٠"(١)، والهوى من المؤثرات الكبيرة على النفس التى تجعـــل النفس تجنح الى ما يُسْتَلَذُّ به، ولذلك نجد أن صاحب الهوى متقلب النفـــس ومتغير الحال، ونجد ان القلق سمة طبعه ويحاول التحلل من القيود، يقـــول تعالى " أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقـــا تقتلـــون "(٢) ويقول" ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبـــع هواه"(٣) ويقول " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنـــة هى المـــأوى "(٤) ٠

ب - الموانـــع الخارجيـــة

الموانع الخارجية هى التى تأتى من خارج النفس البشرية، وتتركز هذه الموانع فى شيئين :-

١ - القهـــر والاكـــراه بالسلطان والمكر السيء، بالترغيب والترهيـــب

يقول الحق تبارك وتعالى" وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنـــا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبـــون" ويقول ايضا " وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا، بل مكر الليـــل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا ٠٠" (٥) ٠

٢ - التقليـــد الأعمـــى بدون علم ولا هدى ولاكتاب منير مثل تقليد الابـــاء،

والاعتقاد بأن المقلّد هو الأهدى، ولا يقتصر التقليد على الاباء والسيـــر فى طريقهم أوتقليد للملأ والكبراء، وانما يتعدى ذلك الى تسلط أمـــة على أمـــة، فتقلد الأمة الضعيفة الامة القوية، مما يجعل الامة الضعيفـــة

---

١) سورة البقـــره آيـــه ١٠٩

٢) سورة البقـــره آيـــه ٨٧

٣) سورة الاعراف آيـــه ١٧٦

٤) سورة الاعـــراف آيـــه ١٧٦

٥) سوره النازعـــات آيـــه ٤٠

تستسلم للأمة القوية وتقلدها ، وبذلك تتفتح الطريق امام الامة القويـــــة لغزو الامة الضعيفة فكريا وعسكريا واقتصاديا ، وهذا ماحصل للأمه الاسلامية بعد أن تسلط عليها اعداء الله من الداخل والخارج " كيف وان يظهـــروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمه يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهـــــم فاسقـــــون "(١) .

قد رأينا أن الدين قد أثار قضايا علمية تجريبية على لسان رجل أمـــى ولم يعارضها العلم ، وانما جاء العلم الحديث القائم على المشاهدة يؤكدها وجاء هذا التأكيد على لسان من لا يعرف الاسلام ، مما يثبت أن هذا الدين من عند الله كما اخبر به سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .
ولكن هل ينفى العلم الغيـــــــب ؟ ..

العلم الصحيح القائم على الحق لا ينفى ذلك لان الجزء الاكبر من العالم يقوم على فروض ونظريات يؤمن بها العلماء ولم يدركوها ، لانها تفسر لهـــــم الحوادث ، وقد توصلوا الى هذه النظريات بالاستدلال عليها من أثر وتأثيـــر الحقائق ، وما هى الا صورا ذهنية لتفسير الظواهر المشاهدة ، وهذه الصور دائمة التغير والتبـــــدل .

ويمكن القول أن علم الانسان يدور مع الاسماء والصفات بدرجـــــة كبيرة ، ولا يتعد الى المسميات والجوهر يقول تعالى" وعلم آدم الاسمـــــاء كلهـــا "(٢) ، لان العلم البشرى يحصل بواسطة مايدركه الانسان بحواسه ، والحواس تلاحظ الظاهر فقط " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عـــن الاخره هم غافلـــــون "(٣) .

وها هو برفسور سوينفان فى العصر الحاضر يعترف بأن النظريات العلمية

---

١) سورة التوبـــــه آيـــه ٨
٢)ت سورة البقـــــره آيـــه ٣١
٣) سورة الـــــروم آيـــه ٧

ماهى الا فروض عملية ناجحه (١) أى انها تفسيرية ، ويعترف العلماء أيضا أن بعض الأشياء " لا سبيل الى مشاهدتها بأى ميكروسكوب أو تلوسكوب " (٢) .

اذن لماذا يؤخذ على الدين المآخذ حينما يُطالِبنا بالايمان بالغيب بينما يعتمد عليه العلم اعتمادا كبيرا ، بل ان العلم الذى يقوم على النظريات أكثر مما يقوم على الحقائق ؟

وقد اعتمد الدين على منهج الحسفى اقناع الانسان ، وتقوية ملكة الانتقال من العالم المحسوس الى غير المحسوس بالفكر والاستدلال والقياس .

ولقد أنكر الماديون وجود الله الخالق ، واعترفوا بصفه الخلق لهم ، وقد نسبوا افكارهم الوهمية الى العلم زورا وبهتانا ، وجعلوا لهم الها جديدا اسمه الطبيعة والمادة وهذا ماسنتعرض اليه فى المبحث القادم .

---

١) الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ٤٦

٢) المرجع السابق ص ٤٥

المبحث الثالث

الرد على موجه الالحاد والعلمانيه

تقدم الغرب تقدما كبيرا فى مجال الحياة العملية ، وقطع شوطا كبيرا لاعهد للانسان به فى أى عصر من العصور ، وتأخر العالم الاسلامى تأخرا مخزيا فى هذا المجال بعد أن كان حامل الراية ، وواضع حجر الاساس لبنيانه الشامخ ، فقام افراد من العلمانيين ، ينادون للتقدم فى مجال العلوم لكى نلحق بالغرب ، وننفض عن انفسنا عار التخلف ، والغرب ذو تجربة فريدة ومثال واقعى ، ورمز للتقدم ، فعلينا أن نتأسى به ، ونقتفى أثره ، ونؤمن بما يؤمن به ، ونكفر بما يكفر به ، وحيث أن السبب الحقيقى وراء تقدم الغرب تركه للدين واخراجة من واقع الحياه ، ونبذ الوهم والخرافه التى بناها الدين ، والتى اصبحت علما عليه ، ودليلا يقودنا اليه ، وعليهما تقوم بنيانه وأركانه ، لذا فاذا أردنا أن نتقدم ونلحق بالغرب ، فما علينا الا أن ننبذ الدين ، كما نبذه الغرب ، فيحصل لنا ماحصل لهم من تقدم ، وكأن ديننا الحنيف حجابا ، يحجبنا عن العلم والتقدم .

وقد تبين لنا مما سبق كيف أن الدين الأسلامى يحث على العلم من أول كلمة فيه ويقيم الدليل والبرهان بما لايدع مجالا لشك الشاكين ، حتى أصبح العلم علما عليه ومعلما من معالمه ، لذلك يمكننا القول أن الدين الاسلامى والعلم الحقيقى توأمان ، فمن رد احدهما كان رده للآخر من باب أولى .

ولم يكن دين الغرب الذى يدين به دينا يقوم على العلم ، وانما كان يقوم على الوهم والخرافه والتسلط من قبل رجاله ، وهذا يعنى أن تقدم الغرب لايقوم الا على نبذ الدين الذى يؤمن به ، لأنه لاقبل له فى مواجهة الثورة العلمية ، ولاطاقه له فى مسايرته ، للتخريف الذى وقع فيه .

وأهم أسس المذهب المادى الايمان بما هو محسوس ، وانكار ما هو غير محسوس لانه لايخضع لتجربة اضافة الى انه خارج عن نطاق ادراكنا وحواسنا

وتصوراتنا لذلك فان أهم عناصـــــــره :-

- المادة ازليه ابديـــــة .
- الفكر صورة من صورها ، وأسبقية المادة عليـــه .
- الكون يسير وفق أنظمة لا تتخلف ، وكونت بمحض المصادفـــة .
- النبوه من نتاج اللاشعور ، وليست وحى من خارج الانســـان .
- المبادئ والقيم انعكاس للاوضاع الاقتصاديـــــة .

ونريد أن نناقش ذلك بواقعية لا سيما وأنهم يضفون على مذهبهـــم قيامه على العلم ، وأن ماسواه يقوم على الجهل والخرافه ، وبالغوا فى ذلك حتى انهم جعلوا أن ذكر الله فى البحث العلمى يخرجه عن منهجـــه العلمى وأصبح الالحاد قدرا مشتركا بين الباحثين الغربيين ، وامتـــدت هذه العدوى الى المسلمين كذلك، ولا حول ولا قوه الا بالله العلى العظيم .

أزليـــة المـــادة وابديتهـــا :

ومعنى أن المادة أزلية : أنها موجودة منذ القدم وأنها ليســـت حادثة ، وعليه فانها خالدة وغير فانيه ، فالتراب منذ القدم كما هو وسيبقى كذلك ، وقس على ذلك بقيه العناصر الفلزية وغير الفلزية (١) . وهـــذا ماشاهده الاقدمون والمحدثون بالعين والحـــس .

وقد أثبت العلم الحديث بطلان هذا التصور الذى يدعى أصحابه أنه قائم على العلم بقولهم ان العالم حادث، أى أنه فى وقت من الاوقـــات لم يكن ثم كان ، وهذه صفعة قويه فى وجه الماديين ، فقد اكتشف العلماء القانون الديناميكى للحرارة (٢) الذى يثبت أن الكون حادث وانـــه متناه عندما تتعادل الحرارتان ، ولو كان الكون أزليا لوصلنا الى هذه المرحله

---

١) العناصر الفلزيه مثل الحديد والنحاس والصوديوم . . . الخ ، وغير الفلزيـــة مثل الغـــازات .

٢) وملخص النظريه أن الحرارة تنتقل من الأعلى فى درجة الحرارة الـــى الاقل أو الى عدم وجود الحراره ولا يحدث العكـــس .

ولما وجدت الاحداث والحوادث فى الكـــــون ٠

ومع تقدم علم الكيمياء ،أصبح من اليسير تفكيك وتحليل كثير من المركبات الى عناصرها الأولية ،فالماء عند الماديين هو الماء منذ القدم وسيبقى كذلـك الى الأبد ، وقد أثبت العلم أن الماء مكون من عنصرين الاكسجين والايدروجين فكيف يكون أزليا من هذا حالـــه ؟

وقد لاحظ العلماء أن بعض المواد المشعه كاليورانيوم والبلونونيـــوم تفقد من أوزانها بمرور الزمـن ، مما حذا بالعلماء لتقدير عمر الأرض بمقدار ماتنقص أوزان هذه العناصر المشعه ، وقد سمى العلماء ذلك بالساعة الذريه مما يدل دون شك على اقتناع العلماء بأن هذا الكون حادث، ولوّ كان الكون والمادة أزلية ، لما فكر العلماء فى تقدير عمر الكون والأرض ٠٠

واذا تقرر هذا فهل المادة أبدية أى أنها لاتفنـــى ؟

فالعقل يحكم بأن المادة تفنى ، ونحن نرى ذلك جهارا نهارا ،فنـرى الماء فى مكان مافى الصحراء مثلا وبعد مدة نرجع الى نفس المكان ولا نـــرى شيئا ،فلو كان أبديا للمسناه وشاهدناه بحواسنا فى كل وقت ولنضرب مثالا آخر بالانسان ،فقد آتى حين على الانسان لم يكن شيئا مذكورا ثم كان كما نشاهد)ثم بعد مدة يفنى ،فلو كان الجسم المكون من الذرات لايفنى لاكتظت الأرض بالمخلوقات التى تدب عليها ، ويدل ذلك على أن للعقل تصـــوراً ذهنيا معينا عن المادة ، وقد يقول قائل ان المادة لاتفنى وانما تتحـــول الى صـور اخرى ، ونضرب مثالا ان جسم الانسان يتكون من مجموعـــة عناصر ، وعندما يموت الانسان تتحلل هذه العناصر الى تراب، وهذا لاينفي الصورة الذهنية عن مكونات المادة المحسوسة التى هى الانسان المجمـوع الكلى للعناصر ،فعندما تفقد الام وليدها الوحيد فتحزن عليه حزنـــا شديدا ،فهل يكون عزاؤها أن يُأتى بحفنة من تراب، لتقنعها بعـــدم فقد وليدها ، وتقول انه تحول الى صورة اخرى ،فهى ألفته بصورة ذهنيـــة معينه لها معنى فى حافظتها ، مما يدل على أن المادة تفنى أوتتبـــدل

وتتغير، ومن كان صفته التغير والتبدل لا يكون أزليا فضلا عن كونه أبديـــا .

والعلم أيضـــا يثبت أن المادة ليست أبدية، فقد أمكن تحويل المادة الى طاقة وتحويل الطاقة الى حركه وتحويل الحركة الى طاقة، وهذه ليســت من صفات المادة الأزلية الأبدية، وانما هى من صفات المادة الحادثه.

ويتصور الماديون أن المادة تتكون من ذرات صلده لا تنقسم ولا تتجـزأ، وهى اللبنة الأولى فى المادة، فذرة الحديد هى اللبنة الأولى فى خـــام الحديد، وهى التى تحمل صفاته، وقس على ذلك بقيه العناصر. وهذا التصور كان سائداً قبل أن يتوصل العلم الى الكشف عن مكنونات الذره، ولم يعـــرف العلم الحديث ذرة تشبه الذرة التى تصورها الماديون، وانما قرر أن الذرة مكونة من وحدات أصغر منها، وقد أطلق العلماء اسماء على هذه المكونـــات مثل الكترون، وبروتون، ونيوترون، وبوزيترون ... الخ .

ووضع التصور تلو التصور لتلك الذرات، فأين العلم الصحيح من ذلـــك الهراء والخداع المنسوب الى العلم، وان كان العلم قد توصل الى أبطـــال هذه المقوله فى العصر الحديث أوعصر العلم، فقد أبطلها الدين قبل العلم بأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان حينما أوحى سبحانه على لسان رسولـــه الأمين على وحيه " ... لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات والأرض ولا أصغـــر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبيـــن "(١) .

ويعتقد الماديون انه لا موجود الا المادة، ولا نعرف كيف حكموا بذلك ؟ هل استقرأ أحدهم الكون كله ؟ وتيقن انه لا يوجد غير المادة، وكيف ذلك ؟ ونحن نعرف أن عمر الانسان لا يتعدى عشرات السنين، والكون مكون مـــن ملايين المجزات التى تبعد عنا آلاف السنين الضوئية، ناهيك عن ضعـــف حواس الانسان التى يعتبرها الماديون مصدر معرفتهم، وأساس ثقافتهـــم.

---

١) سورة سبـــأ آيـــه ٣

واذا تعين ذلك فعدم العلم ليس علما بالعدم، وقد يتصور أحد الماديين أنه لم يثبت لدى أى شخص أنه قد تعرف بحواسه على الغيبيات، وهذا صحيح أننا حتى الآن لم يتمكن بشر من رؤية الله وان كان بعضهم قد رأى الملائكه والشياطين، الا أن عدم الادراك بالحواس لاينفى عدم الايمان بها، فنحن ندرك بحواسنا ونؤمن بقلوبنا وتصدق ذلك أعمالنا بالدعاء والحب والرجاء والخوف من الله وهو غيب عنا، حتى قال بعض الصحابه أنه " لو كشف عنى الحجاب لما ازددت يقينا " (١)، وعدم الايمان بالمغيبات لم يطرأ حديثا على الفكر، فقد امتد الى العصور الغابرة، يقول تعالى على لسان بنى اسرائيل " يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره فأخذتهم الصاعقه بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا " (٢).

وتبين الآيه كذلك أن الانسان لايترك معبوداً الا بآخر، فعبد بنو اسرائيل العجل بدلا من الله، وعبد الماديون المادة بدلا من الله، وقد سلك الماديون طريق المؤمنين من وصف المادة بالأزلية والأبدية، وهى نفس الصفات التي ينعت بها المؤمنون الله، مما يدل على بطلان تصورهم لالههم الجديد، وافلاس ادلتهم وبراهينهم على دعواهم، وبالتالى يبطل المنهج الذى يتبعونه.

والفكر صورة من صور المادة - وهو مايخطر على القلب من معنى نتيجة التأمل والتدبر لما يرد اليه من الحواس. و يختلف الفكر عن المادة، فى انه ليس بمادة مدركه ذات أبعاد بطول وعرض وارتفاع مع الوانها، والفكر متفق عليه بين الماديين وغيرهم على أنه غير محسوس، والمأزق الذى وقع فيه الماديون، اعتبار الفكر من صور المادة أو اثر من آثارها، وأن المادة سابقه على الفكر فكيف تنتج المادة المحسوسة فكرا غير محسوس، هذا من ناحية،

---

١) الشيخ السيد سابق العقائد الاسلامية ص ١٢ ط دار الكتاب العربى.

٢) سورة النساء آيه ١٥٣

ومن ناحية آخرى قد يتعارض الفكر مع الصور الحسيه التى ندركها بواسطة حواسنا فالعين ترى الطائره أو الاجسام البعيده على وجه العموم صغيره ، والعقل يقول ان هذه الاجرام كبيرة ،فاذا كان العقل من نتاج المادة فكيف تكون نتيجة المعرفه ؟ .
لا شك انها متناقضة لكون الشيء البعيد صغير وكبير فى نفس الوقت ، وهذا محال .

واذا تقرر هذا فكان الفكر غير المادة ، بطل ادعاء القوم بأن الكون مادة فقط ، وقد حث الاسلام على التفكر والاعتبار فى خلق السماوات والارض ، لنستدل على عظمة الخالق ، ونعبده حق عبادته ، وعلاقة الفكر بالمحسوسات علاقة قلب بموضوع عمله لمعرفة الاشياء للاستدلال بها على غيرها للوصول الى الحق والتمسك به والدعوة اليه .

والذى يحفظ فى الذهن هو معانى الاشياء ، ولا تحفظ اجرام مادية ، فالتعامل مع الجرم المحسوس خلاف التعامل مع الذهن الانساني ، فيستطيع الانسان أن يأخذ آلاف المعانى التى يمكن استحضارها وقت الحاجه ولا يحل معنى مكان آخر فى حين أن الجرم المادى يزيح الآخر ويحل محله ، ولا يبقى له اثرا ، فعندما نريد أن نسجل على شريط بعض الوقائع ، لابد من التخلص من اثر التسجيل السابق عليه ، وكذلك اذا قبل الجسم شكلا معينا فلا يقبل غيره الا بازاحة الشكل الاول .

وعليه يكون الفكر أونتاج العقل ليس صوره من صور المادة ولا شكلا من اشكالها ، ولا يستطيع الانسان أن يدرك بواسطة الدماغ المادى وانما يستطيع أن يدرك بالقلب أو العقل ، بدليل أن الحيوانات مع كونها تتمتع بوجود المخ ، الا انها لا تفقه مايفقهه الانسان ، بالرغم أن حجم المخ فيها أكبر من مخ الانسان لحيانا .

- الكون يسير وفق نظام لا يتخلف وكون بمحض الصدفه -

النواميس التى تحكم الظواهر الطبيعية أمر لا يمكن انكاره أوالخلاف عليه وقد تتخلف بعض السنن ، ومامعجزات الرسل الا خرقا لهذه النواميس مثل أن تنقلب العصا حية تسعى ، وسلب خاصية الاحراق من النار بحيث تكون برداً وسلاما ، وأخيرا إعجاز علمى متجدد على مدى العصور الى أن يرث الله الارض ومن عليها على يد أمى لا يعرف القراءه والكتابه .

ويتصور الماديون أنه لاحاجه الى اله مادام القانون الذى يحكم الظواهر قد عرف ، وأقلهم تطرفا يقول ان الله خلق الكون ثم تركه يعمل كالساعه على سبيل المثال ثم فى مرحله تاليه تخلصوا من هذا الاله الضعيف الذى لاحول له ولا طول .

فالعلم المادى ينحصر فى تفسير مايحدث ، فمثلا ظاهرة الخسوف تحدث عندما تقع الأرض بين القمر والشمس والكسوف يحصل عندما يقع القمر بين الشمس والأرض وهذا تفسير لما حدث بالفعل ، أما العلم المادى فلا يمكنه الاجابه على سؤال يطرح نفسه ويهرب الماديون من الاجابة عليه وهو : لماذا يحدث ذلك ؟ ومن الذى أوجده وأبدعه ؟ يقول تعالى " قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله يأتيكم بضياء افلاتسمعون ، قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون " (١) ، هذا الكون بمجراته وأفلاكه وقوانينه المضبوطه ، والذى يسير وفق نظام بديع هل أوجد نفسه ؟ فاذا أوجد نفسه فلابد أن يكون موجودا قبل نفسه ، وهذا فرض باطل اذ يفرض الشىء موجودا وغير موجود ، أم خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون " (٢) .

وقديما قال احد الملحدون ايتونى بماء وتراب ومواد كيماويه وأنا اخلق لكم انسانا وبعد خلقه لهذا الانسان فما هو رد فعله اذا زُعم أن هذا الانسان الذى خلقه قد تطور من طحلب أوكان اصله قردا ؟!!! ، ولو أن الملحد رأى آله ضخمة تدور بالكهرباء ولاحظ دقة الصنعه والنظام العظيم الذى تعمل به

---

١) سورة القصص آيه ٧١ ، ٧٢

٢) سورة الطور آيه ٣٥

دون أن تخطئ ، ثم فكر فى كيفية عمل الآلة ، وبعد دراسة ، وجهد جهيد عرف انها تدور بالكهرباء أو بالطاقة النوويه ، فيقول : الآن عرفت السبب فى ظاهرة دوران الآله ، فلا داعى لان ندعى أن مهندسا قد صممها وأشرف عليها وعلى عملها .

أعتقد أن هذا التصور ضربا من ضروب الخيال ، بل انه الهوى والجحود بعينه ، لا أحد ينكر أن هذه الآلة قد صممها المهندس الفلانى ، بل ونوجه له خطاب شكر لما قدمه للانسانية .

كيف يليق بالانسان أن ينسب صنع الآله الى مصممها ومخترعها وينكر صنع الخالق من العدم ؟!! قد يقول قائل : نحن نرى الانسان وهو يصمم ولم نر الله يخلق ! فنقول ان لاحظنا وشاهدنا الله ، ووقع تحت مداركنا ، لم يكن الها ، فيكون مخلوقا وليس خالقا لان العين اذا عاينت الشىء قدرت عليه وان قدرت عليه لا يكون الها ، ويجب أن يكون الله ليس كمثله شىء ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

وينسب الانسان الجاحد أن هذا الكون تكون بمجرد الصدفة ، وأن هذه الصدفة تخبط خبط عشواء بدون ترتيب ولا نظام ولا حكمة ولا فطنة ، وبمنتهى الفوضى ، والذى يلاحظ الكون من الذرة الى المجرة يرى عجبا من النظام الدقيق الذى لا مجال للفوضى ولا لخبط العشواء فيه ، نرى من الدواب من يعيش فى الكهوف والاخرى تعيش فى الماء وأخرى تطير فى الهواء ، ومن تدبر فى خلية نحل والنظام الذى تسير عليه أو رأى مملكة النمل ، وهى تخزن وتزرع وترعى وتحلب من أبقارها وتربى أولادها ، وتخصص لكل فرد من افرادها الوظيفة المناسبة التى يناط به تنفيذها ، لا يقول بأن هذا خبط عشواء ، ولو تأمل الانسان فى نفسه وتدبر أحوالها لوجد " معملا كيماويا ينتج من المواد أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره ذكاء الانسان ، وهاهنا نظام للتوريد أعظم من أى نظام للنقل أوالتوزيع عرفه العالم ، ويتم كل شىء فيه بمنتهى النظام " (١) هل هذا ينتج بطريقة المصادفة دون حكمه أو غايه ؟ الصدفة هنا معيار للجهل فاذا ماثبت

---

١) كريس مورسيون العلم يدعو للايمان ص ١٥٥ ترجمة محمود صالح فلكى ط مكتبة النهضة المصريه .

عجز الانسان وجهله أوجد من خياله مايسمى بالصدفة ليعلق عليها جهلـــه ، ويخدع بها نفسه ، ويسوغ بها هـــواه .

وهذا بخلاف الصدفه العلمية التى تقوم على حسابات رياضية دقيقـــة ونتائج المصادفه مقيده بقانون تقييدا وثيقا " (١) ، وعليه فان جميـــع مقومات الحياة الحقيقية ماكان يمكن أن توجد على كوكب واحد فى وقت واحـــد بمحض المصادفـــة " (٢) .

- النبوه من نتائج اللاشعور وليست وحيا من خارج الانســـان -

عندما يولد الانسان ، ويطل بحواسه على هذا الكون الفسيح ، يكوف حاله كحال ورقه بيضاء نقيه لاتحمل شيئا وجعل الله له السمع والابصار والافئـــدة وهى وسائل الادراك وفُطرنا على بعض الخصائص لكى تزداد علومنا ، وهـــذه العلوم تحفظ فى ذاكرة الانسان بالمعنى ، والذاكره على صغر حجمها تستوعب الالاف المؤلفه من المعانى التى يستطيع الانسان تذكرها واستحضارها متـــى شـــاء .

وبزيادة الخبره والتدبر وطلب العلم تزداد معارفنا ، فهذه الحافظـــة أو الذاكره تسمى عند علماء النفس باللاشعور ، وهذه المعلومات قد تظهـــر بصورة عادية أوغير عادية ، فان خرجت بصورة مقصودة لهدف ما كانت فكـــرا وان ظهرت بصورة غير مرتبة وغير طبيعية سميت هذيانا ، فحصيلة اللاشعـــور من العلوم هى ماحصله الانسان بحواسه وخبرته واستنتاجاته" والله اخرجكـــم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة لعلـــكم تشكـــرون " (٣)

ويعتبر الماديون أن كلام الانبياء انعكاس من اللاشعور وليس وحيا مـــن خارج ذات الانســـان .

---

١) المرجع السابق ص ١٩٤

٢) المرجع السابق ص ١٩٤

٣) سورة النحل آيـه ٧٨

ويستطيع الانسان الواعى العاقل أن يميز بين الكلام الطبيعى وبين الهذيان غير الطبيعى ، ولننظر الى حال محمد النبى الخاتم ، لنرى هل ماتفوه به من كلام هو من هذى اللاشعور أوكلام بشر عادى مثل اضرابه من البشر أو هو فوق هذا وذاك ، ولا يستطيع بشر أن يأتى بمثله .

فأما كونه هذيان من اللاشعور أوكلام عادى فكلاهما مردود لاسباب منها :-

أ - لم يقل محمد عليه الصلاة والسلام انه من عنده بل قال انه وحى أوحاه الله اليه عن طريق الملك جبريل عليه السلام .

ب - تحدى به الناس جميعا عربهم وعجمهم الادباء منهم والعلماء ، وهذا التحدى قائم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

جـ - كانت قريش أحرص الناس على افشال الدعوة وبذلت الغالى والنفيس من الرجال والاموال ، وعرضت على محمد صلى الله عليه وسلم الجاه والمال والسلطان والنساء ، ليثنوه عن هذا الأمر ، الذى سفه به احلامهم وضلل آباءهم ، وقريش اعلم بحال الرسول منا ، لذلك رموه بكل صفه ذميمة وقالوا : شاعر ، ومجنون ، ويعلمه بشر . . . الخ هذه الافتراءات ، ولنرى قول أشد أعدائه فيه وهو الوليد بن المغيره قال ابن اسحاق : " ثم ان الوليد بن المغيره اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يامعشر قريش انه قد حضر الموسم ، وأن وفود العرب ستقوم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فأجمعوا فيه أمرا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا . قالوا : فأنت ياأبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به . قال : بل أنتم قولوا واسمع . قالوا : نقول كاهن ، قال : لا والله ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما بزمزمه الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون - قال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فماهو بالشعر . قالوا نقول ساحر . قال : وماهو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولاعقده ، قالوا : فما نقول ياأباعبد شمس؟ قال : والله ان لقوله حلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناه ، ومأأنتم بقائلين

من هذا شيئا الا عرف انه باطـــل "(١) وهؤلاء أقرب الناس الى الرســـول صلى الله عليه وسلم ، وهم من هم فى بغضه وعداوته ومحاولة الافتراء عليـــه واذا تقرر ذلك وسلم من كل مارموه به زورا وبهتانا ، حكمنا أنه ليس مـــن انعكاس اللاشعـــور .

هذا من ناحيه ومن ناحيه اخرى ، ننظر فيما جاء به ، لنعرف ما اذا كان باستطاعة بشر أن يقول مثل هذا القول ، والذى يفحص القرآن بكل موضوعيه على ضوء المعارف الحديثه ، يؤدى الى التوافق بينهما ، والحكم باستحالـــة وجود رجل فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم استطاع أن يكون هو المؤلف لهذه البيانات بسبب حالة قلة المعارف فى عصـــره (٢) .

واذا تقرر ذلك علمنا أن هذا وحى من الله على قلب رسوله صلـــى الله عليه وسلم ولم يكن من عند محمد ، سواء من اللاشعور أوفكر من عنـــده وبالتالى يبطل ادعاء الماديين فى ذلك ونعلم أن هذا مجرد افتراء ، وليس حقيقـــــه .

---

١) الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليـــه وسلـــم - ص ١٢٢

٢) د . موريس بوكاى مقاله فى كتاب الاسلام والحضاره - ود ور الشبـــــاب المسلم حـ ، ص ٦٨٧

المبادئ والقيم والأوضاع الاقتصادية

من البديهى أن الانسان لديه عديد من الرغبات الفطرية الموجوده فيه ، وهذه الرغبات من خلقه سبحانه وتعالى مثل الرغبة فى التدين والعبودية ، ورغبات اجتماعية ، وأخرى اقتصادية وفنيه ... الخ .

فالماديون يعتقدون أن الانسان مادة ، ولا يوجد فيه مثل هذه الرغبات ، لذا فان منشأ هذه الرغبات ليس ذاتيا ، وانما هى من خارج الانسان ، وماهى الا انعكاس للاوضاع الاقتصادية السائدة ، وبمعنى آخر أن وجود الشئ هو الذى ينشئ الرغبه فيه .

اذن لاتوجد قيم ثابته كمعايير لتقويم حركة الانسان وبالتالى فلا وجود للاخلاق الثابته ، ولا وجود لحق وعدل ثابتين ، وانما هى قيم متغيره حسب الحاله الاقتصادية من وسائل الانتاج والتبادل .

وعليه فان الاستغلال والاحتكار لا يصدر عن الجشع الموجود فى الانسان والذى انطلق بدون ضابط ولا وازع ، وانما يصدر عن رأس المال .

والمتأمل فى الاوضاع الاقتصادية فى أوروبا وامريكا يجد أنها تتبع نفس وسائل الانتاج والتبادل ، الا ان كل من المعسكرين الشرقى والغربى يتبع مذهبا اقتصاديا يختلف عن الآخر ، فالمعسكر الشرقى الغى الملكيه الفردية وصيرها ملكية جماعية تابعة للدوله ، فالفرد فى هذا النظام ماهو الا ترس فى آله الاقتصاد ، ولا يسمح له بتملك الا الضرورى لحياته ، ومن الناحية الاخرى نجد أن الاقتصاد الحر يعتمد على ترك الفرد يعمل بحريه ، لان مصلحة الجماعة ماهى الا مجموع المصالح الفردية ككل ، لذلك يباح له كل شئ لتحقيق مصالحة ، فيباح مثلا الربا والاستغلال والاحتكار والغش .. الخ ، ونظرا للتشابه الكبير فى وسائل الانتاج وأساليبه ، فالمتبادر الى الذهن أن يتبع كل من المعسكرين نفس المذهب الاقتصادى ، ونفس القيم ، ولكن الواقع

غير ذلك مما يؤكد بطلان دعوى الشيوعية التى تقول بالحتمية التى لا مفر منها وقد توقع ماركس أن تكون الدول الرأسمالية هى أول الدول مآلا الى الشيوعية لا سيما فى انجلترا والمانيا ، ولم يتوقع أن تكون روسيا القيصرية القائمه على نظام الاقطاع هى التى تكون السباقه الى الشيوعية طبقا للحتميه الاقتصادية لان روسيا لم يكتمل النظام الرأسمالى فيها ، والقائم على تحكم الفرد وبالتالى الثورة عليه للانتقال الى الشيوعية .

ونريد أن نثبت أن الرغبات البشرية أصيله فى النفس وليست رد فعل لعامل الاقتصاد ، ففى العرف الشيوعى أن أسلوب الانتاج سابق على الرغبة ، بل ومنشىء لها ، فهل وجود الطعام ينشىء غريزة الجوع فى النفس ؟

فمثلا اذا جاع الفرد طلب الطعام ، واذا شبع انعدمت رغبتة فى الطعام حتى مع وجود أشهى الاطعمة ، فالطعام اذن لا ينشىء رغبه ، وانما يحركها وكذلك الاقتصاد ، ويقر الشيوعيون انه فى عهد سيطرة الأم كان الرجل يورث أخوته وفى عهد سيطرة الرجل ورّث الرجل أولاده . مع أن أسلوب الانتاج واحد فى الحالتين فهل اختلفت العواطف ؟ مع أن العواطف احرى بها أن تكون ثابته بثبوت أسلوب الانتاج ومتغيره بتغيره "(١)

وأمة العرب التى ظهر فيها الاسلام ، والتى دان لها القوى والضعيف ودخل الناس رغبة فى دين الاسلام أفواجا ، أكان ذلك نتيجة اتباع اسلوب معين فى الانتاج ؟ ام أن روحا جديده حلت بهم فجعلتهم احياء بعد أن كان لا وزن لهم ولا تأثير ، وهى الروح التى يحاربها الشيوعيون قبل الرأسماليين ، خوفا من الحق والعدل والقيم العليا والمبادىء النبيله الثابته التى يقوم عليها هذا الدين .

واذا تقرر هذا ثبت بطلان الدعوى القائمة على اعتبار أن المبادىء والقيم ماهى الا انعكاس للاوضاع الاقتصادية ، وثبت وجود الرغبات

---

١) يراجع فى هذا كتاب الشيخ محمد قطب ـ الانسان بين المادية والاسلام .

فى النفس لا سيما العقيده الدينية والعبودية لله وحده لا شريك لـــه .

لذا فقد رجحت وجهة نظر الدين التى تتعامل مع الانسان ، بعقلـــه وعواطفه وجعلت الضوابط الثابته لهذه العواطف ، كى تؤدى رسالتهـــا فى الحياه دون اسراف أوتقتيـــر .

العلمانيـــــــــــــــة

وأصل هذه الكلمة مأخوذه من الترجمة العربية للكلمة الانجليزيـــــــــة Secular ومعناها فى اللغة الانجليزية اقصاء الكنيسة وتعاليمها عن مجـــال الحياة الانسانية .

من هنا نعرف أن كلمة العلمانية كترجمة للكلمة الانجليزية Secular خطأ ان كانت بحسن نيه ويجب تصحيحها ، وتعتبر تضليل وتزوير ان كانت بسوء نيـــــة ، والراجح أنها ترجمه ضا له مضله لخداع الشعوب المغلوبه على أمرها ، وهـــم فى ذلك يخادعون الله والذين آمنوا ، ومايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون" (١) .

البيئـة التى ظهـــرت فيهـا العلمانيـــة :

ظهرت العلمانية فى الغرب الذى يدعى زورا وبهتانا أنه يديـــن بدين المسيح عليه السلام ، والعلمانية موغلة فى القدم ، وهى ظاهرة بينه منذ أن اعتنقت أوروبا المسيحية عقيدة منفصلة عن الشريعة ، والتى طبقت فـــى ناحية الاحوال الشخصية ، وكان القانون الرومانى هو الذى يحكم أوروبـــا ، واستغلت السلطة الزمنية ذلك القانون فى ابعاد رجال الكنيسه عن الحكـم .

العلمانيـــة فـــى بـلاد الاســـلام :

الدين الاسلامى دين عقيده وشريعة منذ بداية ظهوره فى مكـــه المكرمـــه ، ولم يتطرق الى ذهن المسلمين انفصال العقيدة عن الشريعـه الا فى العصر الحديث ، عهد السيادة الغربية ، وأول محاولات الغرب فـــى التفريق بين العقيده والشريعه ، هو انشاء محاكم مختلطه ، ليتحاكم امامها غير المسلمين كمرحله أولى ، ثم تلتها مرحله أخرى وهى أبعاد الشريعه بشكل كلى عن حياة المسلمين ، وبعد أحكام السيطره تدخلت فى مجال التعليم والتأثير

---

١) ســورة البقـــره آيـــه ٩

على المرأه ، وبعد ذلك تظهر المرحلة الاخيره بضرب العقيدة فى النفوس عن طريق الحرب الفكرية المنتظمه ، ولتحل عقائد الغرب مكان عقيدة المسلمين وشريعته مكان الشريعة الاسلامية .

والعلمانية ظاهرة بينه وواضحه فى الشرق الاسلامى بدون استثناء ، ونجد ذلك فى مجال السياسة والاقتصاد والتعليم والفن والاعلام . . . الخ ومعنى العلمنة فى المجالات السابقة هى ابعاد أى أثر أوتأثير للدين الاسلامى فيها .

ففى السياسة مثلا نجد فى العالم الاسلامى دويلات هزيله مريضه لاتهتم بأمور المسلمين فى خارج حدودها ، فالمسلمون يقتلون هنا وهناك بمئات الالوف ولا يحرك ذلك ساكنا سوى استنكار بالكلمه أونحوها ، والتى يعرف الجميع أنها لاتقدم ولاتؤخر فى مجريات الاحداث ، وهذا مناف لما جاء به الاسلام الذى يصرح بأنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، والمؤمنون اخوه فى الدين ، وذلك هو رباطهم ، دون أن يكون رباطهم الوطن أو اللغة أوالعادات أوالتقاليد أو اللون او الجنس ، فهذه أمور لا دخل للانسان فيها ، ولا حريه له فى اختيارها ، والانسان كما هو معروف مُريد مختار ، وليس مقهور أومجبور ، ويُؤاخذ الانسان على مايكون له فيه اختيار ، ولا يؤاخذ فيما ليس له فيه اختيار ، ولذلك نجد فى العلمانية الحديثه أنها تركز على الوطن والمواطن واللغه والعادات والتقاليد . . . الخ باعتبارها الرابطة التى تربط المجتمع .

والعلمانيون كثيرا مايرفعون الشعارات البراقه وهم يطبقون مبدأ الميكيافيلية ، وهى الغاية تسوغ الوسيلة فى هذا المجال ، فلاعدل ولاقانون ، وانما هى الغاية الداد نيويه التى تحكم الاخلاق ، وهى غايه ليست ربانيه ولاانسانيه ولاشامله ولاعادله ، وهى منافيه للفطره التى فطر الله الناس عليها .

وفى الناحية الاقتصاديه مثلا نجد هناك الاستغلال الجشع والاحتكار

الذى يسلب الناس قوت عيالهم ، وربا فى كل الانشطة الاقتصادية

فهل هذا من الدين فى شـــىء ؟

وفى مجـــال التعليـــــم أيضا توغلت العلمانية أيما تغلغل ،فلا نجـــد فى الكتب العلمية التى تدرس فى المدارس والجامعات أى اشارة الى فطـــرة الله التى تحكم الظواهر الطبيعية ،وان وجدت فتوجد فى المقدمة أوالتمهيد أوالخاتمة ،أما فى صلب الموضوع فتكاد تكون خاليه ،فما أحرانا أن نؤسلـــم هذه العلوم التجريبية والاجتماعية ونعمل على ازالة الازدواجية فى التعليـــم من كليات دينية متخصصه الى كليات علمية لا يذكر فيها الدين مطلقا ،والـــذى نريد أن نؤكد عليه أن لا يكون هناك فصل بين العلوم الحياتيه والدينية .

والتعليم عامل مهم فى التربية التى افتقدها الناشئة من المسلمين حيث تربى كثير منهم فى هذه البيئة الموبوءه ،والتى تسودها العلمانيـــة .

وفى مجـــال الفـــن فالعلمنة واضحه جدا ،فنجد القصه الدينية أوالتمثيلية الدينية ،واخرى كوميديه أورومانسيه ... الخ ،ولا يوجد ارتباط بينهـــا وبين الاسلام وعقيدته وشريعته ،بل كلها محاكاه لما يدور فى الغرب، وأقصى مايفعل فى البلاد المحافظه ،ازالة المظاهر الفاضحه فقط دون التدخل فيها لكى تخدم الدعوه فى شـــــى ء .

وفـــى مجـــال الاعـــلام -ايضا فهو علمانى صارخ ،فلو أخذنا مقطعا فـــى أى قناه من قنوات الاعلام ،نجد الفصل قائما وبوضوح . فمثلا الصحيفـــه اليوميه نجد عموداً أوأكثر فى المجال الدينى ،وبقية الصحيفه لا دخل للديـــن فيه . اليست هذه علمنـــــه ؟

وفـــى التلفـــــاز -تلك الآله التى تكاد أن تدخل كل بيت، نراها مثلا تبدأ بالقرآن الكريم وتنتهى به ،ويخصص بعض الوقت لبرنامج دينى أمابقية مايعرض على الشاشه ،فبعيد كل البعد عن الاسلام والدعوه اليه مثل برامج الاطفال والكرتون (الصور المتحركه)والتمثيلية ومباراة كرة القدم والأخبـــار وغيرها من المعروضـــات .

فالمفـــروض أن يكون الأسلام فى كل أنشطة المسلم بدون استثنـــــاء حركاته وسكناته بيعه وشرائه حزنه وفرحه وجده ولعبه ، يجب أن يكون الاسلام والدعوة اليه فى برنامج الاطفال ، لأنه مهم جدا فى تشكيل حياة الطفـــل وغرس الاسلام فى هذه الفطرة المستعدة لقبول أى مذهب أوفكره ، يجـــب أن ندعوا الى الاسلام من خلال التمثيلية ، ومباراة كرة القدم ، ويجب أن تكـون مظاهر الاسلام على الجوارح وفى الصالات والمطارات والشوارع والمجلات ، ويجب أن تكون أخلاق المسلم فى المسجد والشارع ، يجب أن يكون كل مسلم داعيـــه .

والآن هل تصلح العلمانيه لتحل محل الديـــــن ؟

وللأجابه على ذلك ، لابد أن نقرر أن الانسان عبد مربوب ، وشاء اللـــه سبحانه لحكمه أن يعطى الانسان الحريه فى اختيار معبوده ومربوبه ، وهو لا يترك معبودا الا بأخر ، يحل محله ولا مربوبا الا بآخر ، وهذا الواقع مشهود ، فالانسان ان لم يعبد الله عبد غيره من هوى أومال أوزوجة أوولد ... الخ .

والعلمانية قد أثبتت فشلها فى إيصال الانسان الى فطرته الصحيحـــه لان قيمها متقلبه متغيره ، فلاحق ولاعدل ثابتان ، وانما الغايه تسوغ الوسيلـه ، ولهذا يعانى أفراد المجتمع من الاضطراب والخوف من المستقبل وتغيراتـه ، لذلك نرى أنه اذا ضاقت بالفرد السبل ، نراه يلجأ الى معبوده ، فان كـان معبوده الله ، وهذا يوافق فطرته نجده يطمئن ويصبر ويحتسب ، بل نجد عنده لذه باعتبار أنها كفارة لذنوبـــــه .

وان كان معبوده هواه أوغيره ، فلا يجد ماعند المؤمن من سلوى ولان هذا المعبود لايملك أن يعطى المؤمن به ، مايعطيه الله للمؤمن به ، لأن فاقـــد الشىء لايعطيه ، فنرى غير المؤمن يقدم على الانتحار هروبا من مشاكلـــه فهو كالمستجير من الرمضاء بالنـــار .

وأمامنا تجربه انسانية فريده من نوعها وهى التى سادت فيها الأمـــه الاسلاميه بدستورها القرآن والسنة ، وحققت الكثير فى كل مجالات الحيـــاه ،

فلم يقم اقتصاد ،على الربا ولا على الاحتكار ولا على الاستغلال وانما قام على تقوى الله ، وكان المسلمون يعلمون أن ماأصابهم ماكان ليخطئهم ، وماأخطأهم ماكان ليصيبهم ·

فلماذا اذن هذا الجشع والظلم وآكل مال الناس بالباطل واتباع الهوى؟ وفى السياسه مثلا الغاية عندهم رضا الله ، وتحقيق الاستخلاف فى الأرض والوسيله ماشرعه الله لهم ورسوله ، واجتهاد الامه المحكوم بالوحى الالهى الى رسوله صلى الله عليه وسلم ·

هذه أمثله حيه لواقع المسلمين عندما حكّموا شريعة الله ، وها نحن نعيش فى زمن لاتطبق فيه شريعة الله ، وانما تطبق فيه شريعه الشيطان فى الكثير من بلاد المسلمين ولاحول ولاقوه الا بالله العلى العظيم ·

الخاتمـــــــــــــــــة

لقد أصبحت أجزاء العالم المختلفة بفضل من الله ، بأن وفق الانســـان المستخلف في الارض الى أن يبتكـر أنواعا كثيره من وسائل الاتصالات والمواصلات السريعة والمصانـــع التى تحوى الالات الضخمة الدقيقة ، الأمر الذى جعـــل العالم متقارب الاجزاء ، وكأنه يعيش فى بلد واحـــــد .

وترتب على هذه الثورة العلمية انتقال العادات واللغات والأفكـــــار والأنشطة البشرية المختلفة كالمذاهب الاقتصادية المختلفة ، فما يظهر فى مكـــان ما من الغرب مثلا الا ونجد له صدى فى أنحاء المعمـــــوره .

وكنتيجة لهذا التقارب الكبير ، تشابهت الداءات المنتشرة فى كل العالم مثل الربا والاباحيه والدعوات الضاله المضله كالاحزاب الاشتراكية والشيوعيـــة والتى تقوم على افلات حرية الفرد ، والتبشير بدين الكنيسة ، وقد تشابهـــت كذلك الأمراض التى تغزو جسم الانسان ، والتى تنتج عن تعدى حدود اللـــه من ارتكاب الفواحش ، وتحليل الخبائث من خمر ولحم خنزيـر وزنا وفعل قـــوم لـــــــوط .

ولم تقتصر العلوم التجريبية على دراسة الظواهر الكونية ، التى تقـــع تحت مدارك الانسان ، وانما امتدت كذلك لتشمل العلوم الانسانيـــة .

لذا فقد اهتم العلماء فى الشرق والغرب لوضع حلول للمشاكل التى تواجـــه الانسان واستعانوا بذلك بما توصل اليه العلم من تقدم فى كل المجالات ، واستعانوا كذلك بقوة النظام ، وتشريع القوانين ، وكل مابذل من جهـــود ، لم يكن له الفعاليه المؤثرة على الفرد والمجتمع ، وكان سلطانه على النفـــوس ضعيفـــــا .

ولم يستغل الغرب طبيعة الانسان المتدينه ، وهى الوحيدة التـــي تستطيع أن تضبط حركة الانسان فى الحياة الدنيا ، وان كان قد استغـــل

بعض هذه الجوانب الا أن جهلهم بكافة جوانب النفس الانسانية أدى الى فشل كثير من الحلول ، ومهما بلغ الانسان من معرفه فى هذا المضمار، فالذى يجهله اكثر مما يعلمه .

وعليه فالعالم محتاج الى من لاتخفى عليه خافيه فى الارض والسماوات لوضع حلول عامه وشامله لكل زمان ومكان ومعصومة من الخطأ والنسيان ، لتقوم سلوك البشرية ، وتأخذ بيدها الى بر الامان .

ولن تجد البشرية الحلول المطلوبة الا فى الدين الاسلامى المعصوم، لان الذى انزله يعلم السر وأخفى " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (١)

وقد ساق الله الدليل العقلى والعلمى على ماأرسل به رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وصلاحية هذا الدين ، الذى لاتوجد الهداية الا فيه .

وقد بينا فى هذا البحث مفهوم الدعوة الاسلامية وقلنا انها فعالية الفرد فى تبليغ الدّين بالحكمة والموعظه الحسنه ، وبينا كذلك مفهوم العلوم التجريبية واختصاصها ، وانواع الظواهر التى تبحث فيها ، وتعدد العلوم تبعا لذلك ، ووضحنا الضوابط الاسلامية التى تحكم هذه العلوم " قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين " (٢) .

وبينا انها أبعد تأثيرا على النفوس ، لانها تجعل من الانسان رقيبا عليه " مايلفظ من قول الا لديه رقيب عنيد " (٣) بالاضافة الى الضوابط الاخرى المكملة .

وقد أوردنا فى الفصل الثانى بعض النماذج العلمية فى كتاب الله ، والتى جاءت المكتشفات العلمية تؤيدها ، وشاهدا على صدق مبلغها ،

---

١) سورة الملك آيه ١٤

٢) سورة الانعام آيه ١٦٢

٣) سورة ق آيه ١٨

الذى ماكان له ولغيره فى ذلك العصر أن يأتى بمثلها بهذه الدقه بشهادة لبعض المنصفيـــن من الغـــــرب .

وأرتبطت معجزات الرسل كذلك بنفس المنهج الذى تقوم عليه العلـــوم التجريبية وهو وسائل الادراك فى الانسان من سمع وبصـر ... الخ ، مقرونه بالتحدى ، لتكون أبلغ فى اظهـار البنيه ، وحتى لايكون للناس على الله حجـه بعد الرســـــل .

وتعرضنا كذلك للرد على موجة الألحاد التى لم تقم على أساس علمـــى يؤيدها وانما قامت على التعسف فى استخدام المعلم ، وها هو كاميـــل فلامريون ينتقد ماعليه الماديين بقوله : تراهم يطبقون العلوم الفلكيه والكيماوية والطبيعيه والفسيولوجية على مسائل لايستطيعون ولا يريدون حلها ، ولا يكتفـون بأن يجبروا هذه العلوم على الاجابه عن الاسئله الخارجه عن اختصاصهـــا فقط بل يسيئون اليهـــــا ."(١) .

ويقول تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلـــوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئـــك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلـــون " (٢) .

وبينا كذلك امتداد العلمانية الى شرقنا الاسلامى لتشمل أوجه النشاط المختلفة والمهمه كالتعليم والاعلام والسياسة ... الخ ، ووضحنا أن العلمانيـة ليست قائمه على العلم وانما هى ابعاد تأثير الدين عن مختلف مجالات الحياة .

وعلى ماسبق نقرر ونؤكد أنه لاصلاح للبشريه فى حالها ومالها الا باتبـاع ماجاء به الدين الاسلامـى من تشريع وتوجيـــــة .

---

١) محمد فريد وجدى - الاسلام فى عصر العلـــم ص ٧٤٢

٢) سورة الاعـــراف آيـــه ١٧٩

وأخـــر دعوانـــا أن الحمـــد للـــه رب العالميـــن والصلاة والســـلام علـــى سيـــد المرسليـــن ورحمـــة اللـــه للعالميـــن الـــــذى بلـــغ الرسالـــه وأدى الأمانـــه ونصـــح الأمـــة وجعلهـــا علـــى المحجـــه البيضـــاء ليلهـــا كنهارهـــا مـــازاغ عنهـــا الا هالـــــــك .

الفهـــــــــــرس

البيـــــــان	رقـــم الصفحـــه
المقدمـــــــــة	
تمهيـــــــــد :	
أ ـ مفهوم الدعوة الاسلاميـــة	٥
ب ـ مفهوم العلوم التجريبيـــة	١١
الفصـــــل الأول	
المبحـــث الأول : مكانة العلوم التجريبية فى الاسلام	٢٢
المبحـــث الثاني : الضابط الاسلامى للعلوم التجريبي	٤٩
الفصـــل الثانـــــى	
المبحـــث الأول : نماذج من الاعجاز العلمى فى القرآن	٦٤
المبحـــث الثانى : اثر العلم التجريبي فى البرهنة على الغيب	٨٠
المبحـــث الثالث: اثر العلم التجريبي فى الرد علـــــى الملحدين ونقد موقف العلمانييـــن .	١٠٤
الخاتمة	١١٢

المصـــادر والمراجـــــــــع

١) القـــرآن الكريـــــــم

٢) السنـــــه المطهـــــره

٣) ابن كثير الدمشقـى — تفسير القرآن العظيم — ط دار المعرفـــــه

٤) البهى الخولـــــى — تذكره الدعاة — مكتبـــة الفـــــلاح

٥) شيخ الاسلام احمد بن تيميـــــــه — كتاب الرد على المنطقيين — ط ادارة ترجمان السنه ١٣٩٦، ١٣٧٦

٦) الدوميـــــيلـى — العلم عند العرب واثره فى تطور العلم العالمى — ط دارالعلم ١٣٨١ / ١٩٦٢م

٧) ايرليس نوركن لانام — الكوكب الدرى - ترجمة محمد حسان

٨) د . احمد شلبـــى — كتاب المسيحيه من مقارنة الاديـــــان — ط ٧ مكتبـــة النهضـة

٩) د . احمد شلبـــى — كتاب الاسلام من مقارنـة الاديـــــان — ط ٧ مكتبـــة النهضـة

١٠) الكسيس كاربـــــل — الانسان ذلك المجهول - تعريب شفيق اسعد فريـد — مكتبـــة المعـــــارف

١١) الشيخ السيد سابق — العقائد الاسلاميـــة — ط دار الكتاب العربـــى

١٢) ابن القيّم الجوزيه — التبيان فى اقسام القرآن — ط دار المعرفه - بيروت

١٣) جلال الدين السيوطى — تفسير القرآن العظيم — ط المكتبة الشعبيـــة

١٤) د . حامد الغوابى — بين الطب والاسلام — ط دار الكتاب العربـــى

١٥) رؤوف شلبـــى — الدعوة الاسلامية فـــى فى عهدها الملكـــــى مناهجهـــا وغاياتهـــــا .

١٦) زيغريد هونكـــه — شمس العرب تسطع على الغرب — منشورات المكتب التجارى

١٧) عيسى عبد الظاهـر — فصول فى الدعوه والثقافه الاسلاميـــــه . — ط دار القلـــــم

١٨) د . عزالدين فراج — فضل علماء المسلميـــن على الحضارة الأوروبيـة — ط دار الفكر العربـــى

١٩) عبد الله بن عبد الوهاب السيـــــره النبويـــــه
٢٠) عبد الملك ابن هشام السيـــره النبـــويـه
٢١) عبد الرحمن ابن خلـــدون المقدمـــــــة .
٢٢) د . عبد الكريم عثمان الثقافه الاسلاميـــــه ط دار الارشـــاد
٢٣) عبد الرزاق نوفل الله والعلم الحديـــث
٢٤) كريس موريســـون العلم يدعو للايمان - ترجمة ط مكتبـة النهضـه
محمد صالح الفلكـــى
٢٥) لسان العـــرب
٢٦) لنكولن بلومفيد الفضاء الخارجى - ترجمة ط مكتبة النهضـــه
زكريا البرادعـــى
٢٧) الشيخ محمد الراوى الدعوة الاسلامية دعوة عالميـــة
٢٨) الشيخ محمد صالح بن عثيمين الاصول من علم الاصول ط دار طيبه ١
٢٩) د . محمد جمال الدين الفندى الله والكـــون ط الهيئه المصريه العامه
للكتاب ١٩٧٦م
٣٠) د . محمود قاســم المنطق الحديـــــث
٣١) محمد ابن اسماعيل البخارى الادب المفـــرد
٣٢) محمد ابن اسماعيل البخارى صحيح البخـــارى
٣٣) د . محمد عبد الله الشرقاوى تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم
٣٤) محمد فريد وجـــدى الاسلام فى عصر العلم
٣٥) الشيخ محمد قطب الانسان بين المادية والاسلام ط ٤ دار الشـــروق
٣٦) الشيخ محمد قطب مذاهب فكريه معاصرة ط دار الشـــروق
٣٧) محمد على صنشاوى مقاله بعنوان الحضـارة الاسلامية بين التحـــدى
والتعطيل فى كتاب الاسلام والحضارة ودور الشباب
المسلـــــم حـ١
٣٨) الشيخ محمد متولى الشعراوى و معجزه القرآن الكريـــم
٣٩) د . محمد احمد الغمراوى الاسلام فى عصر العلـــم
٤٠) د . محمد على البار خلق الانسان بين الطب والقرآن
٤١) موريس بوكاى محاضره فى كتاب الاسلام والحضاره ودور الشباب المسلم حـ٢
٤٢) وحيد الدين خان الاســـلام يتحـــــدى